نازك الملائكة

عاشقة الليل... والشعر الحزين

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث

نازك الملائكة

عاشقة الليل... والشعر الحزين

إعداد ودراسة: هاني الخيِّر

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث / نازك الملائكة/ عاشقة الليل والشعر الحزين
إعداد ودراسة: هاني الخيِّر
الطبعة الأولى: 2017
عدد النسخ: 1000 نسخة
الترقيم الدولي: ISBN 978-9933-22-112-6
جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:
دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار مؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية – دمشق – جرمانا
هاتف: 00963115627060
00963115637060
تلفاكس: 00963115632860
ص.ب: 259 جرمانا
www.darrislan.com

إنّني فـي تحوّل دائم أولاً ، وذهني وشِعْرِي يتطـوران بـلا انتهـاء منـذ بدايـة حيـاتي الشعرية حتـى اليـوم، لـذلك أحسّ بعـدم الرضـا عـن شـعري السـابق دائمـاً ، فمـا تكـاد تعبُـر مرحلـة حتـى أشـعر أن شـعر المرحلـة السـابقة لم يعـد يرضـيني، لأن شاعرة جديدة قد نبتت فـي داخل نفسي، وراحت توجّه النقـد القـارس إلى شـعر الشاعرة الأخرى التي مرّ عليها الزمن.

نازك الملائكة



إضاءة

نازك الملائكة : [1923 – 2007م]

عاشقة الليل.. والشعر الحزين

في العاشرة والنصف من ليل الأربعاء 2007/7/20م، طوى الموت الحق الرحيم، في غياهب الصمت السرمدي الموحش شخصية أدبية مرموقة شغلت الناس في عصرها. وخبتْ نجمة ذهبية متوهّجة ببريق في سماء الأدب، طالما أسعدت الملايين من متذوقي الشعر العربي في أنضر صوره، تلك هي شخصية الشاعرة الرقيقة نازك الملائكة، التي توفيت في القاهرة: عاصمة الألف مئذنة، عن عمر ناهز لـ 84 سنة، بعد صراع طويل ومرير - وهي الرومانسية الحالمة - مع المرض العضال الذي لا شفاء منه في معظم الحالات، الذي طوى بقسوة وشراسة ولؤم... صفحات أيامها الزاهية المزدحمة بالأمجاد والعطاءات الإبداعية والشعرية الخالدة..

وفي هذا الشأن يقول الناقد الكبير إحسان عباس عن نازك الملائكة ما معناه: «كانت نازك الملائكة أجرأ المعاصرين من الشعراء، على الخروج بالشعر عن شكله القديم. ولكنها لتعمُّقها في القديم، وتشرُّبها روح التعبير القوي، لم تستطع أن تكسب الشعر الحرّ خفة الحديث العادي ».

ويرى الدكتور جلال الخياط:

«إن شعر نازك الملائكة في معظمه تجربة تكرر نفسها؛ لأنها شكَتْ وبكَتْ وتأوهت، ولم يتطور الحزن عندها إلى أشكال فنية مبدعة، كأنها حصرت نفسها في قوقعة الدموع...».

وبعبارة ثانية: فإن شعرها يتميز بالحساسية المفرطة وبالألم الحاد. وهي عاشقة الليل.. وهاوية الألم، هائمة بين القبور. تجد في المساء صديقاً، وفي الحزن

رفيقاً، وفي الموت ملاذاً، شعرها ينضح يأساً ولوعة وتشاؤماً:

سأصيدُ الأحلامَ من أمسِنا الهارب

حُلْماً حلْماً، وراءَ الزمانِ

وألُمُّ الأفراحَ من كلّ ركنٍ

ألقُطُ الذِّكرياتِ دونَ كلالٍ

من غُبَارِ السُّكونِ والنسْيانِ

وأناشيدُنا ألُمُّ صداها

وأُعيد الحياة للأوزان

إنَّ نظرة عامة إلى شعر نازك الملائكة تشعرنا بأن الشاعرة كانت تحيا في عالم افتراضي، يقوم على اليأس القاتم وتجرع آلام الغربة وأنشودتها السحيقة، والعيش مع قصص الماضي المتحكم في حاضرها:

سِرْ بِنا حيثُما يُرِيدُ لنا المجـ ـهول سِرْ في هذا الوجود الحزين

لَنْ تنالَ الحياةُ منَّا فقد ذُقْـ ـنا أساها في عُمْرِنا المغبون

ورمتْنا أحزانُها فَصَبَرنا وغداً مَغْرِبُ الأسى والشُّجونِ

وغداً تنضَبُ الدموعُ وتَفْنَى ضجَّةُ الموجِ في عميقِ السكونِ

أما الحبُّ الذي تنساب فيه بسلاسة، علّه يخفف من عذاباتها، فإذا به يزيد في لوعتها وارتعاش أصابعها، ولا غرابة في ذلك؛ لأنَّ هذا الحبّ الذي تتحدث عنه ليس واقعياً، بل هو من نسيج خيالها الخصب الجامح:

كيف مرَّت أيامنا؟ كيف مرَّت بين فك الأشواق والأحزان

ملء قلبي وقلبك الحبّ والشو قُ ولكن تلوذ بالكتمان

كلما حدثتْك عيناي بالحب أُعاقبُ عيني بالحرمان

أو كما تقول في قصيدة «بين فكي الموت»:

ها أنا بين فكي الموت قلبا لم يَزَلْ راعشاً بحبّ الحياة

وعيونـــاً ظمــأى إلى مُتَــعِ الكــو نِ تتنـــاجي مفـــاتنَ الأُمســـياتِ

لم أزل بُرعماً علـى غُصُنِ الدهـ ـــــر جديـدَ الأحــلامِ والأمنيــات

فحـــرامٌ أنْ تَــدْفِنَ الآن يــا مــو تُ شـــبابي فـــي عـــالم الأمـــواتِ

لقد رأت نـازك الملائكـة الحيـاة برّمتهـا علـى عكـس مـا اشـتهت، رأت فيهـا الصرامة والقسوة والتَّزمُّت والقيود الاجتماعية الثقيلة، فأُصيبت بانكسارات حادة وخيبة أمل، فدفنت وجهها في أمواج الليل، ووجدت السماء صديقاً، وفي الحزن الوجودي رفيقاً لا يخون، وفي الموت السعيد ملاذاً وراحة وواحة، كأنها تمشي، خبط عشواء، في جنازة نفسها اليومية عن دراية تامة:

خُطُواتي، في الدجى لا تحسبيها

إنها آخِرُ ما أخطو هُنا

إنَّها رجْعُ أغانٍ لن تَعيبها

سوف تَذْوِي مثلما أذوي أنا

أو كقولها:

وتمضي الليالي إلى قَبْرِها

وتمشي الحياةُ مع الموكب

أسيرُ أنا في شعاب الوجود

أفتش عن حلمي المتعب

أما مجموعتها الشعرية ودراساتها النقدية فهي: «عاشقة الليل»، و«شظايا ورماد»، و«قرارة الموجة»، و«شجرة القمر»، و«الصلاة والثورة»، و«يغيّر البحر ألوانه»، و«مأساة الحياة وأغنية الإنسان»، و«صلاة للرفض والثورة».

وكتبت في الدراسات الأدبية والنقدية: «قضايا الشعر المعاصر»، و«التجزيئية في المجتمع العربي»، و«مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية»، و«الصومعة والشرفة الحمراء».

ونشـرت مقـالات ودراسـات وقصـائد كـثيرة فـي العديـد مـن المجـلات العربيـة تذكر منها: الأديب، والآداب، والهلال، والعربي.

كانــت رومانســية فـــي بـــداياتها الشــعرية خاصـــة فـــي ديوانهـــا (عاشـــقة الليل1947)، ثم تلوّن شعرها في ديوانها الثاني (شظايا ورماد 1949)، باللون السـريالي، ثـم جـاء فيمـا بعـد اللـون الرمـزي الوجـودي الهـامس الـذي يخاطـب المشاعر العليا ونوازع النفس الدفينة:

يا هدوءاً مطمئناً

يا فضاءً مرِحاً لدْنَ البريق

يشرَبُ الأنجمَ كأساً من رحيق

يا رؤىً تقطرُ لونا



أنتِ عطرٌ ونعومهْ

وحفيفٌ وانحدارات أشعّه

ونجومٌ عُكِستْ في عمقِ تِرْعه

وأناشيد رخيمة

للشاعرة نازك مواهب جمّة وخيـال واسـع، ومـا ذلـك إلاّ دليـل ناصـع علـى اتسـاع الفكـر وتنوع الاهتمامات الذوقيـة، وخصـوبة الخيـال، علـى حد تعبير الصـديق الناقد المعروف سلمان هادي آل طعمة.

لقد درست مختلف العلوم والفنون والآداب والفلسفة. ثم أتمّت دراستها الابتدائية والإعداديـة والثانويـة، وانتسـبت إلى دار المعلمـين العاليـة فـي بغـداد، وتعـدُّ السـنوات الـتي قضـتها فـي دار المعلمـين مرحلـة النضـج والتـزود مـن الثقافـة الناضجة، على حد تعبير الدكتور الأديب بدوي طبانة، فحصلت على إجازتها في آداب اللغة العربية، وكانت في أثنائها تغذي نفسها بالقراءة والاطلاع على الأدب العربي قديمه وحديثه، كما تمكّنت من اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها

في الدروس التي كانت تتلقّاها، وفي المكتبة الخاصة التي كان أبوها يعنى بتزويدها بكل مستطرف من العلوم والآداب. إلى جانب ما تحوي من مراجع في أصول اللغة والأدب. وأضافت إلى هذا الزاد العربي العريق معرفةً واطلاعاً على آداب اللغة الإنكليزية. ولها في هذا الجانب العديد من القصائد الشهيرة التي ترجمتها إلى العربية. ولعلّ قصيدة (البحر) للشاعر جورج غوردن بايرون تثبت صحة ما ذهبنا إليه، ونختار من هذه القصيدة المطوَّلة عدة مقاطع:

البحر

أيُّها البحر أيُّها الأزرقُ الدَّا	كِن إهدرْ ما شئتَ في الظلماء
ساخرَ الموج من قُوَى الآدميّيـ	ـنَ عميقاً مُدَوِّي الأنواء
مَخَرَت في العُباب منك الأساطيـ	ـل وتاهت في موجك اللانهائي
وبقيتَ المجهولَ يرهبُك الإنـ	ـسانُ وهو الطاغي على الأشياء

❖❖❖

أيُّها البحرُ آهِ ما هذه الأسـ	ـوار تحت الحديد والنيرانِ؟
أيُّ شيءٍ هذي القلاع الرهيبا	تُ؟ وما سرُّ ذلك الطغيان؟
لُقّبوا سادةَ البحارِ وما هُمْ	غيرُ طيفٍ من الغرور الفاني
تتلقّاهم قُوَى موجكَ الرا	ئعِ بالموت والأذى والهوانِ

❖❖❖

أينَ آشورُ؟ أين روما وقرطا	جةُ ما عادَ ذكرُها قطٌّ يحيا
ذهبت كلُّها وماتتْ وما زلـ	ـت كما كنت أيها البحرُ

❖❖❖

ولدت نازك الملائكة في بغداد العام 1923 في بيت شعر وأدب. ونشأت في رعاية أمها المثقفة الشاعرة **سلمى عبد الرزاق (أم نزار)**، ووالدها الأديب المثقف **صادق الملائكة،** فأتاحت لها هذه البيئة المستنيرة الواعية، ما لم يُتح لغيرها من الشاعرات المعاصرات فتربّت على تذوق الجمال: جمال الكلمة... جمال اللوحة... جمال الأغنية واللحن... في أبهى الألوان. وهُيئت لها منابع الثقافة فراحت تقطف من كل بستان زهرة، وتأخذ من كل علم بطرف على مذهب الأدباء القدامى.

وحين حصلت على شهادة الدراسة الثانوية العامة، انتقلت لمتابعة دراستها في دار المعلمين في بغداد، حيث درست الأدب العربي، وبعد تخرجها بمدة وجيزة سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وانتسبت إلى إحدى جامعاتها الشهيرة لنيل شهادة الماجستير.

وبعد عامين عادت إلى ربوع وطنها، وشغلت العديد من الوظائف التعليمية الحكومية نذكر منها:

- مدرّسة معيدة في كلية التربية في جامعة بغداد 1957.
- مدرّسة في قسم اللغة العربية في جامعة البصرة 1964.
- رئيسة قسم اللغة العربية في كلية الآداب 1965، بينما شغل زوجها الدكتور عبد الهادي محبوبة رئاسة جامعة البصرة.
- سافرت إلى القاهرة العام 1965، وألقت مجموعة محاضرات على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، في معهد الدراسات والبحوث العربية.

وقد طبعت هذه المحاضرات القيمة في كتاب أسمته «شعر علي محمود طه».

- انتقلت إلى دولة الكويت للعمل في جامعتها بصفة محاضرة، وظلت تعمل في رحاب الجامعة لعقدين من الزمن، ثم عادت إلى بغداد.
- انتقلت في سنواتها الأخيرة إلى القاهرة، التي اتخذتها وطناً ثانياً لها حتى وافاها الأجل، وتم دفنها في إحدى مقابر القاهرة بجوار زوجها.

لقد ظلّت فراشة الشعر العربي نازك الملائكة، طوال مسيرتها الشعرية والأدبية المظفرة والصاخبة معاً، محتفظة بكبرياء وشموخ، بشخصيتها الأدبية المستقلة، وبأسلوبها الخاص الذي تستمده من ينابيع الإلهام، ومن صدقها الغني الطامح بالبراءة، وأحاسيسها الرقيقة الدافئة المتسربلة بالعذابات المتراكمة، ونداءات المساء الخافتة، ما يدل بوضوح على موهبتها الفذة وأصالتها، وأنها الأكثر أهمية وتألقاً بين الشاعرات العربيات.

وخلاصة القول في نهاية هذه الإضاءة المكثفة نحدده بهذه الفكرة المستمدة من صميم تراثها الشعري: «كان الشعر عندها وسيلة للتعبير عن حزنها، وهو بالتالي واسطة للتنفيس عن أحزانها وآلامها:

نعم، ماتَ قلبي، أينَ أحزانُ حبِّه؟

وأين أمانيه؟ وأين أغانيهِ؟

حرارتُهُ أضحت رماداً مهشَّماً

وأحلامُهُ ذابتْ على صدر ماضيهِ

هو الآن ثلجيٌّ العواطف، باردٌ

يُقضِّي مع الأشباح غُرَّ لياليه

وَيُرْعِبُهُ ذكر المماتِ وليلِهِ

فيدفِنُ نيرانَ الأسى في قوافيهِ



وخلاصة القول... فإنَّ شاعرية نازك الملائكة، على امتداد مسيرة أكثر من نصف قرن، تظلُّ شاهدَ التحوّل والمغامرة، ووعي التغيير وضرورة التجديد بعد كل ديوان وبعد كل قصيدة(*).

* للتوسع: انظر كتاب: «جمال العربية..» فاروق شوشة، كتاب العربي (52)، 15 نيسان/أبريل 2003م.

نازك الملائكة.. وحديث الذكريات

الترنم بالشعر

تقول نازك الملائكة :

طالما سمعت أمي في طفولتي تغني، وهي تؤدي أعمال المنزل، بشعر جميل بثينة، وكثيّر عزة، وقيس بن الملوّح، والشريف الرضي، وأبي فراس الحمداني، وابن الفارض، والبهاء بن زهير، وسواهم... وكنت أرى أبي وأمي ينصرفان إلى القراءة كل مساء، بينما أنصرف أنا وإحسان وسعاد إلى اللعب قريباً منهما.



كابوس طفولتي

... ولكن الحيوان الذي كان **كابوس طفولتي** هو الذي كان البدو يسمونه (البزبز) ويصغرونه «البزيزة» وهو حيوان صغير شرس أبيض اللون كثيف الشعر، يخطف الأطفال ويفترسهم، كما يحفر القبور ويأكل جثث الموتى، وكنا نخافه خوفاً شديداً، فما تكاد الشمس تميل نحو الغروب حتى تدخلنا أمي جميعاً إلى البيت وتقفل الأبواب بمزالج من الحديد. وكان أبي قد اتخذ الاحتياطات الكافية لحماية أسرته من هذه المخاطر، فقد ابتنى جداراً متيناً شاهقاً بين بيتنا والبستان الخلفي، خوفاً من مهاجمة ابن آوى والبزبز والذئب. وكان البزبز يهاجم أطفال سكان الأكواخ. وأذكر أنه كاد يفترس طفلة هؤلاء الجيران، بحيث اضطروا إلى ربط كلبين ضخمين إلى عمودي سرير الطفلة؛ لأن الكلب عدو تخافه هذه الحيوانات الوحشية المفترسة. وكان ابن آوى ينتشر في الشارع خلال الليل، وقد ألفنا أن نسمع عواءه طوال الليل، والمعروف أنَّ له صوتاً موحشاً عالياً كعويل الريح، ولم أكن أحبه، وإنما

كنت أستوحش منه. وكنا نخاف الخروج من الليل جميعاً؛ لأن جارنا كان عائداً بعد الغروب ذات ليلة فهاجمه قطيع من بنات آوى ومزقوا ثيابه، وكان سيخرج مجرَّحاً لولا أن مجموعة من البدو أقبلوا بعصيهم وأنقذوه.



كره الرياضيات

كنت منذ صغري أحبّ اللغة العربية، والإنكليزية، والتاريخ، ودروس الموسيقا، كما كنتُ أجدُّ لذّةً في دراسة العلوم وخاصة علم الفلك، وقوانين الوراثة، والكيمياء، ولكني كنتُ أمقت الرياضيات مقتاً شديداً، وأعدّ السنين يوماً يوماً لأصل إلى إنهاء مرحلة الثانوية فأتخصص بدراسة الأدب.



منذ طفولتي أحببت الشعر

وقد بدأت نظم الشعر وحبه منذ طفولتي الأولى. والواقع أنني سمعت أبويّ وجدي يقولون عني إنني «شاعرة» قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة؛ لأنهم لاحظوا عليَّ التقفية وأذناً حسّاسة تميّز النغم الشعري تمييزاً مبكراً. وبدأت بنظم الشعر العامي قبل أن يصل عمري إلى سبع سنوات، وفي سن العاشرة نظمت أول قصيدة فصيحة وكانت في قافيتها غلطة نحوية، وعندما قرأها أبي رمى القصيدة على الأرض بقسوة، وقال لي في لهجة جافية مؤنِّبة: اذهبي أولاً وتعلّمي قواعد الشعر... ثم انظمي.



أبي أستاذي

أما أبي فقد بقي أستاذي في النحو حتى أنهيت دراسة الليسانس، وكنتُ أهرع إليه بكل مشكل نحوي يعرض لي، وأنا أقرأ ابن هشام والسيوطي والأشموني وسواهم.

زوّادة ثقافية

وقد التزم الوالد أبو نزار: (صادق الملائكة) بتزويد أفراد أسرته بثقافة أدبية عصرية جادة، فكان يوفّر لهم أسبوعياً وشهرياً أهم الصحف والمجلات الثقافية والأدبية من عراقية وعربية، وفي مقدمتها مجلات: الرسالة، الرواية، الكاتب المصري، الكتاب، المقتطف، العرفان، الأديب، والآداب... إلخ، إضافة إلى المجلات المسلّية الخفيفة مثل: الهلال، المصوّر، الاثنين، واللطائف.. وبالطبع فقد كانت الأسرة على اتصال يومي بالصحف العراقية على مختلف أنواعها، أما عن الكتب فقد كان الأستاذ صادق معتاداً على اقتناء أحدثها وأفضلها، وعنه أخذ أبناؤه نزار ونازك وإحسان، خصلة عشق الكتاب، وتقويمه كأثمن كنوز الدنيا جميعاً.



أثر والدتي في حياتي الشعرية

أما والدتي (سليمة عبد الرزاق الملائكة) فقد كان لها أثر واضح في حياتي الشعرية؛ لأنني كنتُ أعرض عليها قصائدي الأولى، فتوجّه إليها النقد وتحاول إرشادي، ولكني كنت أناقشها مناقشة عنيدة فقد لاح عليَّ منذ مرحلة الثانوية التأثر بالشعر الحديث، شعر محمود حسن إسماعيل، وبدوي الجبل، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخوري، وأمثالهم، بينما كانت هي تعجب بشعراء أقدم كالزهاوي على الخصوص فقد كان شاعرها الأثير. وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من اهتمامي، ولذلك كان تأثيره في شعرها أبرز، ولكن ذوق أمي نفسها بدأ يتطور كما يلاحظ من يدرس شعرها الذي طبعتُ المنشور منه بعد وفاتها في ديوان سميته (أنشودة المجد)، وقد بدأت أمي تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب على الخصوص بشعر إبراهيم ناجي وصالح جودت، ولكن اتجاهاتي الشعرية بقيت مختلفة عن

اتجاهاتها بسبب معرفتي للإنكليزية والفرنسية وكثرة قراءاتي لشعرائهما، ومع ذلك فقد بقيت أنا وهي صديقتين، فكانت تقرأ لي قصائدها وأقرأ لها قصائدي، حتى وفاتها عام /1953/، وهي في الثانية والأربعين من العمر رحمها الله رحمة واسعة، ومما زاد من تقاربنا قلة فارق العمر بيننا الذي لا يتجاوز الأربعة عشر عاماً.



العزلة السعيدة

كنتُ ميالة إلى الانعزال منذ طفولتي بسبب إحساسي الدائم بأنني أختلف عن سائر البنات اللواتي في سني، فأنا كثيرة المطالعة، محبة للشعر والغناء، جادّة قليلة الكلام، بينما هنَّ لا يطالعن ولا يعبأن بالفن، وليس لهن من الجدّ في الحياة إلاَّ يسير، كما أنهن كثيرات الكلام ولا يسكتن أبداً.. وكان هذا كله يصدمني. وكنت أعتزل المجتمع لكي أقرأ وأنظم القصائد المتتالية، وكثيراً ما كنت أقف في حديقة بيتنا الخلفية ساعات متوالية، وأغني بأعلى صوتي أغاني عبد الوهاب الذي كنتُ أعجب بغنائه، وكانت عمتي المولعة بي تقول لي مندهشة: «إنك تقضين هنا تغنين وتعبدين الأشجار».. وعندما بلغت السادسة عشرة أصبحت أعدّ العزلة فضيلة الشاعر وحرية الإنسان، ونبذت المجتمع، وانطويت على نفسي، ولكني بعد الثلاثين أصبحت أجد سعادة في الصداقة ومعرفة الناس، وتذوق ما في شخصياتهم من جوانب جميلة.



الغناء سعادتي الكبرى

وقد كان الغناء سعادتي الكبرى منذ طفولتي، وكنتُ أحبس أنفاسي إذا ما سمعت صوت عبد الوهاب أو أم كلثوم يحمله إليَّ جهاز (حاكي - غرامافون) يدور في بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لأي أغنية أسمعها، وكانت أمي

لا تفتأ تندهش دهشة كبيرة عندما تسمعني أغنّي، وما زلت أذكر صوتها في صغري وهي تتلفت وتقول: «يا إلهي! من أين حفظت ابنتي كل هذه الأغاني؟ ومتى سمعتْها؟! وكيف؟!».. ولم تكن تدري أنني كنت حين أسمع حاكياً يدور بأغنية أقف مسمّرة في مكاني، حتى لو كنتُ في الشارع، وفي تلك الأيام البعيدة لم يكن المذياع قد دخل الحياة في العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الأغاني لا يتم إلاَّ عن طريق الأسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد بالبث إلاَّ في سنة 1935، كما أتذكّر يوم بلغت الثانية عشرة من العمر.



عاشقة النحو

والحق أني كنتُ ولم أزل شديدة الولع بالنحو، وقد فرش لي أبي طريقاً ممهداً رائعاً، حين وضع بين يدي مكتبته التي كانت تحتوي على متون النحو وكتب الشواهد جميعاً. ولذلك كان من الطبيعي تماماً أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلبة قسم اللغة العربية التي اختارت رسالة لمرحلة الليسانس في موضوع نحوي: هو (مدارس النحو). وكان المشرف عليها أستاذي الكبير العلاّمة مصطفى جواد، الذي كان له في حياتي الفكرية أعمق الأثر رحمه الله وجزاه عنا نحن تلاميذه أجمل الجزاء، ولم تزل رسالتي هذه في مكتبة الكلية وعليها تعليقات بالقلم الأحمر كتبها الدكتور مصطفى جواد في حينه.



بين الموسيقا والشعر

أما العزف على العود فقد كان أمنيتي منذ صغري، وحين رأى أبي حرقة تشوقي إلى هذه الدراسة، وافق بعد تردد طويل على أن أدخل معهد الفنون الجميلة، لأدرس على يد الفنان الكبير الموسيقار محيي الدين حيدر الذي كان اسمه في المعهد «الشريف»، للفنان طريقة فريدة في العزف والتدريس

عليها أثر موهبته الفنية العظيمة، وله في العراق اليوم تلاميذ معروفون من الموسيقيين، مثل الأستاذ سليمان شكر، والأستاذ جميل بشير وسواهما... وكنت أنا أجلس في صف العود مسحورة، وكأني أستمع إلى صلاة. وكان الشريف يكرر عليَّ أن لي سمعاً موسيقياً حسّاساً وموهبة ظاهرة، ولكنه كان خائفاً على أن يجرفني حبي للشعر، ويبعدني عن الموسيقا. وهو ما حدث بالفعل، فأنا اليوم معروفة شاعرة، وليس لي صوت معروف في الموسيقا على أي شكل من الأشكال، مع أنني ما زلت حتى هذا اليوم أعزف لنفسي لكي يصحبني العود، وأنا أغنّي ألحان عبد الوهاب، وأم كلثوم، وفيروز، وعبد الحليم حافظ، ونجاة، وهو انصراف محدود، غير ما كان أستاذي يتوقع مني، ولعلّه كان ينتظر أن أكون عازفة مشهورة في الإذاعات ومؤلفة ألحان.



جمال الروح

إنه جمال ينبع من الروح الكبيرة المستوعبة، والذهن الحرّ المرن، والقلب النابض الرقيق، وهو جمال الخلق الكريم والعذوبة، والخشوع للّه والنزاهة وكبر النفس. وهذا الجمال لا علاقة له بالملابس والحلاّق، لأنه يتألق على وجه كريم وعيون حنونة معطاءة، وهو يلمع على الشعر البسيط المسترسل الذي لا يهينه الحلاّق بالعبث به. هذا هو الجمال، فتعريفه أنه البساطة الإنسانية، والفطرة كما خلقها اللّه حيية روحية منفتحة.

وأما التأنق فما أتفهه. وما أشد إذلاله لروح الإنسان. التأنق هو الوسائل المصطنعة التي يظنونها تؤدي إلى طريق الجمال. أو لنقل: إنه الجمال المزيف المصنوع بالوسائل الآلية وسواها، فبدلاً من أن تعتمد الفتاة على مرونة ذهنها وسعة ثقافتها وجمال روحها ورقة ابتسامتها، تجدها تعتمد على كثرة ملابسها والتصنع في شعرها.

عنبر الموتى

وما كاد نظري يقع على أمي وهي ممددة على منضدة العمليات حتى أدركت أنها قد ماتت. وكان منظرها رهيباً وفي وجهها عذاب لا أطيق أن أتخيله دون أن أتمنى الموت.. وقضيت أربعة أيام رهيبة في لندن لا أقوى على النوم. وكنت أتعذب بفكرة (عنبر الموتى) الذي ترقد فيه أمي الحبيبة. وكانت كلماتها الأخيرة لا تفتأ ترن في سمعي: «**إنهم سيقتلونني لأن شِعْرِي كله حرب على إسرائيل والصهيونية**».



صراخ في الليل

ثم عدت بالطائرة إلى بغداد وحيدة لا رفيقة لي إلاَّ الدموع بعد أن دفنت رفيقة سفري الغالية. واستقبلني أهلي يبكون في المطار، وكانوا في جزع شديد عليَّ من أن أصاب بانهيار عصبي. والواقع أنني احتملت العبء في لندن كل الاحتمال. وإنما بدأ الانهيار عندما وصلت إلى منزلنا. فما كدت أدخل حتى بدأت أبكي وأبكي ولا أنقطع قط لا ليلاً ولا نهاراً. وكنت أريد أن أكفّ عن البكاء وأحاول ذلك فلا أستطيع، فكان عندي سيل من الدموع ينبغي أن يتدفق. ولم تقف دموعي إلاَّ بحبوب مهدئة أعطاني إياها الطبيب، وقد بقيت عدة أشهر أصرخ في نومي كل ليلة فلا أسكت حتى توقظني أختي من النوم.



لست متصوفة

تسألني عن التصوّف ولست متصوّفة، إلاَّ إذا كان حبّ اللّه العلي القدير يكفي وحده لاعتبار المرء متصوّفاً. فأنا شديدة الحب له سبحانه، وأقضي أوقاتاً طويلة في بعض الليالي أناجيه وأمجّده وأتغنّى بجماله وروعة خلقه. ولكن لابدَّ لي من القول: إنني لم أكن متدينة في فترات حياتي كلها.. لا، بل

إنني مررت بفترة إلحاد وتشكُّك فظيع ما بين (1948- 1955).

وإذا كان التصوّف يعني الزهد في الحياة والناس، فأنا بعيدة عنه؛ لأنني أحبذ الحياة والشعر والأغاني، وأحبّ الناس، وأحبّ عملي في التدريس بالجامعة، وأعزف على العود، وأنصرف إلى التأليف وقرض الشعر في حماسة. وهذا كله لا يصرفني عن الدين، وإيماني بالله تعالى كامل عميق يؤثر في شخصيتي كلها.



الشاعر علي محمود طه في ميزان النقد

علي محمود طه شاعر ملهم وشاعريته أغزر مما وصل إليه في نتاجه، ويرجع ذلك إلى انجرافه مع الإباحيين الذين حوّلوه إلى السطحية والميوعة العاطفية. وقد ذكرت ذلك في كتابي (الصومعة والشرفة الحمراء) على أنَّ هذا الشاعر كان موهوباً وخصباً في فترته الأولى، ثم انزلق إلى الشعر السطحي المائع، فكانت مجموعاته الشعرية التالية كلها هبوط وانحدار. وهذا محزن وفيه خسارة لشاعريته، ولكن ذلك هو الأمر الواقع.

وقد رمزت إليه بالصومعة التي يفيء بها إلى العزلة الروحية والتأمل في الأجواء الميتافيزيقية، والصومعة طريق آخر غير طريق الحب الحسي الجنسي؛ لأنه حب الجانب الفكري والروحي من الحياة الإنسانية. والروحانية هي الاتجاه إلى التصوف والفلسفة والانغماس فيهما. هي صلة روحية بالله تعالى تزيد عن مجرد العبادة، وإنما تتمثل في موقف خاشع من الحياة نفسها؛ لأنها هبة من الله العلي القدير للبشر.[*]

---

* لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، نازك الملائكة، مطبوعة على الآلة الكاتبة، للتوسع أيضاً انظر كتاب صفحات من حياة نازك، المؤلف، حياة شرارة، منشورات الريس 1994.

نازك الملائكة
في مرآة الحوار والمكاشفة

مع نازك الملائكة في حوار مفتوح

ما من مرة قرأت أو سمعت كلمة (العراق) إلاَّ وللتوّ تواردت إلى ذهني هذه الأسماء، بكل ما تثيره من دلالات وإيحاءات لها إيقاعاتها المتباينة: **كربلاء، الشبيبي، الجواهري، الرصافي، الزهاوي**، وأيضاً.. **نازك الملائكة** .. شاعرتنا، تلك التي استطاعت بموهبتها وثقافتها، وأصالتها، أن تكون (خنساء عصرنا)، وأن تفرض اسمها على تاريخ أدبنا المعاصر... تفرضه بالجدارة والشرعية، والعطاء والحب أيضاً...

وإلى قاهرتنا العريقة... جاءت شاعرة العراق.. فكان هذا الحوار:

❖ هناك من يعتبرك الرائدة الأولى لحركة التجديد في شعرنا المعاصر، ولكن هناك أيضاً من ينكر عليك دور الريادة زاعماً أنَّ هناك من سبقك إلى ذلك، ويستشهدون بمحاولات جبران وأبي شادي وعلي أحمد باكثير ومحمد فريد أبي حديد.

فما رأيك أنتِ في هذه القضية؟! انطلاقاً من كون أمانتك ستعطينا الحقيقة وحدها مجردة إلاَّ من ردائها الموضوعي..

❖❖ عندما نظمت قصيدة «الكوليرا» عام 1947، وهي أول قصيدة حرة لي. وقف أبي «المؤرخ الأديب صادق الملائكة» يسخر منها ويهزأ بها ويتنبأ لها بأنها لن تقع موقع القبول من نفس أي قارئ عربي!!..

وقد أجبته في تحدٍّ أن قصيدتي تلك ستقلب صفحة جديدة في الشعر العربي؛ لأنني كنتُ شاعرة بأنني قد وصلت إلى أسلوب شعري باهر جديد ذي أهمية

بالغة... ولم أكن إذْ ذاك أعرف أنَّ هذا الشكل قد سبقت إرهاصات به لدى طائفة من الشعراء نظم كل منهم قصيدة واحدة. لذلك كتبت بحثي المعنون «حركة الشعر الحر في العراق»، ونشرته في مجلة (الأديب) اللبنانية عام 1954، وقلت فيه: إن مولد الشعر الحر كان في العراق، ومنه زحف إلى سائر أقطار العالم العربي.

ولعلَّ هذه الفكرة ما زالت مقبولة، حتى بعد أن اتضح لنا كلنا أن شكل الشعر الحر، يملك جذوراً لدى شعراء عرب سبقونا، وذلك أن تجارب هؤلاء الزملاء من الشعراء لم تجتذب أي شاعر يستعملها في شعره، ولا قامت لأي منهما ضجة، ولا امتدح التجربة أحد، ولا ثار عليها أحد. وإنما مضت وكأنها وردة على تيار ماء تجرف ولا تبقي أثراً..

أما شعري الحر الذي برز في مجموعتي «**شظايا ورماد**» الصادر سنة 1949م، فقد لفت الأنظار فوراً وقامت حوله معارك ضارية في الصحف، لا، بل إنه ما كاد يصدر حتى بدأ الشعراء اليافعون يستجيبون لدعوتي وينشرون قصائدهم الحرة الأولى، وقد وضع كثير منهم عليها إهداءات إلى «نازك الملائكة» وهو أمر يثبت أنهم سمعوا بالشعر الحر مني أنا، لا من أيٍّ من الذين سبقوني.

أضف إلى ذلك أنني - حتى إذا كنت مسبوقة إلى الشعر الحر بالإرهاصات المذكورة - فإنني على كل حال أول من دعا إليه دعوة رسمية في مقدمة «**شظايا ورماد**» وهي الدعوة التي استثارت الضجة ولفت الأنظار إلى الشعر الحر.

وهناك أيضاً أنني أول من أرّخ لحركة الشعر الحر وحاول وضع عروض مفصل لها. وأنا أول من كتب عن الأسباب الاجتماعية التي حتّمت ظهورها، وأول من وجّه النقد إليها، كل ذلك في كتابي «**قضايا الشعر المعاصر**». وقد بادر الإخوان من الشعراء والأدباء إلى استعمال الاصطلاحات التي وضعتها للشعر الحر مثل: «البحور الصافية والبحور الممزوجة» وسواها، لا بل إن اصطلاح

«**الشعر الحر**» نفسه مما وضعت أنا. وأقول أخيراً: إنني مع ذلك كلّه لا أراني أبالي أن أُسمَّى رائدة الشعر الحر أو لا أسمى. وليست عندي أية رغبة في خوض المحاولات حول هذا الموضوع؛ لأني واثقة أن التاريخ الأدبي سيدرس هذه القضية دراسة موضوعية وينطق بحكمه فيها.

❖ **في مواجهة الشعر الجديد يُشهر أصحاب الشعر العمودي سلاح الزعم بأنك - وأنت الرائدة - قد تراجعت عن الشعر الجديد، وهذا دليل إفلاسه... فهل حقاً ما يزعمونه؟! وما رأيك أنتِ في هذه المسألة؟!..**

❖❖ أحبّ أن أقول أولاً: إن تراجع «الرائدة» - أو الرائد - لا يكون دليلاً على «**إفلاس**» الشعر الحر وخيبته وخذلانه، فكيف بالأمر إذا كانت «الرائدة» لم تتراجع مطلقاً، وإنما واصلت نظم الشعر الحر من سنة 1947 حتى اليوم بلا انقطاع.

والواقع أنَّ حكاية «تراجعي» المزعوم قد شاعت شيوعاً كبيراً في العالم العربي خلال السنوات العشر الماضية. وهو أمر آلمني وأسفت له؛ لأنه لا يستند إلى أي دليل إيجابي. فأنا أولاً لم أترك الشعر الحر مطلقاً. ومجموعاتي الشعرية المتواصلة تشهد بذلك. ولو كلَّف أي فرد نفسه من الذين يتهمونني بمراجعة شعري المنشور، لعرف خطأ الزعم بأنني ناكصة. وإنَّه ليحزنني أن أصدم أنصار الشطرين - حين أصارحهم بأنَّ الشعر الحر حبيب إلى نفسي، وأنني سأمضي في نصرته نصرة مستمرة لا هوادة فيها. وهذه قصائدي التي ألقيتها في ندوة اتحاد الأدباء في القاهرة يوم 1973/8/27، تشهد لما أقول. فقد كان عدد القصائد التي قرأتها هناك تسعاً كلها من الشعر الحر، عدا واحدة اخترت عامدة من شعر الشطرين رغبة في التنويع، وحرصاً على ألاَّ يظن ظان أنني أنبذ شعر الشطرين. ولقد سبق لي أن نشرت في عدد شهر آب «أغسطس» 1973 من مجلة «**الهلال**» مقالاً مفصلاً عنوانه: «أنا والشعر الحر»، بيَّنت فيه هذه الحقيقة بالتفصيل، وشرحت الأوهام التي ساقت طائفة من الأدباء، أن

يظنوا أنني نبذت الشعر الحر.

هـذا ولابـدَّ لـي أن أقـول: إنـني متمسـكة بالشـكلين معـاً، أسـلوب الشـطرين وأسـلوب الشـعر الحـر، ولـن أتخلّـى عـن أيّ منهمـا؛ لأنَّهمـا كليهمـا ضـروريان للشعر العربي.

❖ مـا رأيـك فـي الاتجاهـات الجديـدة لهـذا الشـعر، مثـل الاغـتراب والتمـزق واجـتلاب همـوم حضـارية لا تتفـق وواقعنـا؟! وهـل تتضـمن هـذه الاتجاهـات مقوّمات تكفل له شرعية البقاء، أم تراها تحمل جراثيم مدمرة؟..

❖❖ أحبّ أن أقول أولاً: إن الاغتراب والتمـزق والـرفض، كلها أفكـار يمكـن التعبير عنها بشعر الشطرين والشـعر الحـر معـاً، فهـي ليست مرتبطـة بالشـكل الجديد لكي نقرنها به. وملاحظتي الثانية أنَّ هذه الأفكار لم تنبت فـي البيئـة العربية بحيـث تكـون لها جـذور فـي واقعنـا نفسـه. وإنمـا هـي أشـجار مسـتوردة دخلـت حياتنـا مـع البضـاعة الآتيـة مـن الغـرب. فبـدلاً مـن أن نـأخـذ مـن الغـربيين الزهور والأثمار فحسب، نجدنا نقلنا المواقف أيضاً.

والـذي أراه أن الفـرد العربـي المتوسـط لا يشـعر بالغربـة ولا بـالتمزق فـي محيطـه هنـا. وإنمـا هـو علـى العكـس يجـد طمأنينـة الـروح حـين يلاحـظ أن لـه جـذوراً مكينة في هذا المجتمع، فهو يأوي إليه ويتطلب محبته وإسـناده ورأيـه، ويشـبه هـذا، ذلـك الإحسـاس الـذي ينقلـه إلينـا كـثير مـن شـعرائنا اليـافعين - وبينهم موهوبـون مبـدعون - وهـو الإحسـاس بـأن «المدينـة الحديثـة» تنظـر إليـه شـزراً وتطارده وتمقته وبأنه فيها حزين غريب.

إنَّ هذا الإحساس فـي رأيـي غريـب علـى الفـرد العربـي فـي مدينتـه. لأن مـدائننا إنمـا بـرزت إلى الوجـود حـديثاً، ولم نـزل نعمـل فـي إنهاضـها علـى قـدميها، وإسنادها، وإبراز قواها الروحية والحضارية.

فنحن سعداء بمدننا هـذه ولا نحس بـالتمزق فيهـا. أضـف إلى ذلـك أننـا مـا نـزال نعمل فـي بناء حياتنـا الجديدة، ومن يعمل لا يجد وقتاً للـرفض والكـراهيـة؛ لأن

الانغماس في العمل والنشاط والبناء يهب الإنسان حباً للحياة وإحساساً بالفرح والنشوة.

والواقع أننا استوردنا هذه المشاعر الانتحارية جاهزة من الشعر الغربي، والروايات الأوروبية والأمريكية. وأنا أعتقد أن استمرار هذه المشاعر كفيل بأن يعصف بنفسية الفرد العربي ويؤذيه إيذاءً شديداً. إنَّ فيها كما تقول أيها الأخ: «جرائم التدمير».

أما ما يسمى بالرفض لدى الشاعر العربي الذي يثور على موقفنا من عدونا المسمى بـ «إسرائيل» فهذا ما لا أسميه رفضاً، وإنّما هو نضال مكافح في سبيل غد أفضل نتخلّص فيه من الاستعمار الصهيوني لبقاع حبيبة إلى قلوبنا، ولماذا نسمي نضالنا رفضاً؟!.. وإنما هو ثورة وروح ثورية.

وهو في المستقبل - إن شاء الله تعالى - قتال ضارٍ لتحرير الأرض، ثم إن الذين ينادون بالاغتراب والتمزق لن يستطيعوا القتال في رأيي؛ لأن نفوسهم مهدمة مشلولة وهم غرباء على المجتمع الذي سنقاتل من أجل بنائه، والذي يرفض مجتمعه فكيف يقاتل من أجله؟!..

❖ يؤكد أصحاب المدرسة الجديدة في الشعر بأن الشعر العمودي يحول دون أن يوصل الشاعر رؤيته المعاصرة لأزمة عصرنا بتعقيداتها الحضارية، فهل ينطلق هذا الزعم من موقع الحقيقة أو أنَّه وجهة نظر مغالطة أو على الأقل متعسفة؟

❖❖ أقول أولاً: إنّه لا يمكن للشاعر أن يصوّر أزمة الأمة العربية باستعمال شعر الشطرين كما يمكن تصويرها بالشعر الحر. فالأوزان الخليلية لا تضيق مطلقاً عن تصوير الحرقة الروحية وأزمات النفس الإنسانية. أما الغلالة الرومانسية الغنائية التي نجدها في شعر المرحلة السابقة لجيلنا، فليست ناشئة عن شكل الشطرين وإنما نبعت من نفسية الفرد العربي، الذي كان يهرب من مواجهة الواقع إلى جنة الأحلام السحرية.

ثمَّ إنَّ هناك شعراء حالمين يصوّرون أحلامهم بالشعر الحرّ أيضاً، فلا شعر الشطرين ملازم للرومانسية، ولا الشعر الحر خلوٌ منها..

وليس من ارتباط إذاً بين الشكل والحالة النفسية. ولكنني أظن مع ذلك أنَّ الشكل الحر يساعد الشاعر على واقعية أكبر قد يقصر عنها الشكل الخليلي الدارج. هناك مثلاً قصيدتي «**عناوين وإعلانات في جريدة عربية**»، وقد تحمس لها الجمهور حين قرأتها في اتحاد الأدباء تحمساً شديداً، ذلك أنني أدرجت فيها عناوين سياسية مما تنشر الصحف، وضمنتها إعلانات في الجرائد أيضاً - في صيغة شعرية طبعاً - ومثل هذا يتطلب أن أقف بالعبارة حيث أريد. فأنا أحياناً أنتهي من العنوان في نصف الشطر ولا أحتاج إلى الباقي منه. وأسلوب الشعر الحر قد ساعدني على ذلك؛ لأنني كنت أقف حيث يناسب المقام. ولو كنت استعملت الوزن الخليلي الدارج لاضطررت إلى أن أضفي على القصيدة هيبة ورصانة وشكلية لا يقبلها الموقف، فالشعر الحر إذن مطلوب بالنسبة لموضوعات معينة. وهذا شيء أكاد أثق منه بعد ست وعشرين سنة من ممارسة نظم الشعر الحر وشعر الشطرين معاً.

وكذلك تقتضي الموضوعية والأمانة في أن أقول: إنَّ هناك مواقف يكون الشعر الخليلي أفضل من الشكل الحر.

والتمييز بين أفضلية هذا النوع وأفضلية ذاك ينبع من نفس الشاعر المبدع، الذي يقف مسيطراً على قصائده يهديه حسّه الفنّي إلى اختيار الشكل الملائم في كل حالة.

❖ ما رأيك في الشعر النسائي العربي الراهن؟ وما موقفك مما يقال: إن المرأة الشاعرة لم تصل شاعريتها بَعْدُ إلى مستوى الرجال من شعرائنا؟!..

❖❖ في الشعر يكون من الخطأ في نظري، أن نتحدث عن رجل وامرأة. فهناك الشاعرية الخصبة الموهوبة، وهي مما يمكن أن تملكه امرأة كما يملكه رجل.. والله تعالى لم يقصر المواهب الشعرية على الرجال، وإنما أغدق

علينا نحن النساء بمقدار ما أغدق على الرجال.

أما إذا كان شعر المرأة في العالم العربي متخلفاً عن شعر الرجال اليوم - وأنا لا أؤيد هذا الرأي - فلابد أن يكون سبب ذلك ظروف المرأة الاجتماعية والثقافية، لا نقص الموهبة. ومعنى حكمي هذا أن امرأة عربية شاعرة من أعلى المستويات قد تطغى بشعرها يوماً على كل شاعر عربي يعاصرها؛ لأنه ليس في تكوين المرأة ما يحول دون ذلك.

ومع ذلك فالأمانة تقتضي أن أعترف بأنَّ غير قليل من الشاعرات العربيات يبقين في مستواهن دون الرجال من الشعراء؛ لأن الشاعرة العربية تملك الموهبة وحدها عادة، والشعر لا يقوم على مجرد الموهبة، وإنما هو دراسة متواصلة لا تفتر، وثقافة تنمو يومياً ومعاناة روحية ، وأصالة عاطفية وتفرُّد في الشخصية. ويحتاج الشاعر إلى أن يعيش الحياة لحظة لحظة، وإلى أن يبقى يقظ القلب، والذهن مفتوح الشبابيك للوجود. وإذا أردت الإيجاز قلت إن على الشاعر أن يكرّس حياته للشعر. والواقع أننا نجد بين الشاعرات العربيات، من يعشن للتبرج، ويعتقدن أنَّ معنى الأنوثة هو العاطفة البدائية الغريزية والذوبان في شخصية الزوج. ويحسبن أنَّ مواهب المرأة الأساسية تكمن في الطهي والحياكة والتنظيف والإغراء. وأرجو أن تلاحظ أنني أحترم الطهي والحياكة والتنظيف، وأقدّس الزواج وتربية الأولاد، ولكن هذه الأمور ليست كل ما نملك نحو النساء تقديمه للحياة، ونملأ حياتنا شعراً وجمالاً وقيماً روحية. وإلاّ فقدنا إنسانيتنا وأصبحنا أدوات زينة وحلياً متكلفة قبيحة. على أنني - بعد هذا كلّه - أعتقد أن المجتمع العربي مسؤول عن هذه الضحالة في المرأة العربية المتوسطة. وقد شهدت بنفسي كيف يحرص مجتمعنا المتخلف على أن يربي «الزوجة» بدلاً من «الشاعرة» أو «المفكرة» أو «الأديبة» أو سواها.. وهذا يشلّ الفتاة اليافعة الموهوبة، ويقتل إنسانيتها وأصالتها.

❖ **حاول بعض الشعراء توضيح رؤيتهم الشعرية بواسطة النثر مثل : نزار قباني،**

وصلاح عبد الصبور، وأدونيس، وأيضاً.. نازك الملائكة.. ألا ترين أن هذا مهمة كان يجب أن تترك للناقد وللقارئ، وعلى الشاعر أن ينتهي دوره عند عتبة قصائده وحدها.؟!.

❖❖ إني لا أرى ذلك. فإنَّ الشعراء الذين ذكرتهم قد تحدثوا عن أعماق خفية لا يعرفها الناقد، ولا يدركها إلاَّ الشاعر نفسه. تحدثوا عن حياتهم الشعرية وعوالمها المجهولة. وأخبرونا كيف بزغت القصيدة الأولى في كيانهم. وأعطونا معلومات ثمينة عن طريقتهم في نظم الشعر. وعن الانفعالات التي يحسّونها. كما أفصحوا عن آرائهم في قضايا مختلفة تختص بالشعر. وكل هذه أمور لا علاقة لها بمهمة الناقد. لأنَّ الناقد يتناول نصوص الشاعر فيوضح ما فيها من جمال وموسيقا حيناً وما يعيبها من ضعف في الصياغة، وكسور في الوزن وجموح في الاستعارة حيناً آخر. وهذا أمر ثان غير رفع الحجب عما وراء تلك النصوص وعما سبقها. وهو غير إيضاح عناصر التجربة الشعرية والعوامل التي أثّرت في بناء نفسية الشاعر والظروف الأدبية والاجتماعية التي صادفها. وكل هذه أمور محجوبة لا يعرفها إلاَّ الشاعر نفسه، فما يكتبه عنها ويقدمها للقارئ والناقد، يصبح وثيقة روحية وفكرية وعاطفية ثمينة.

❖ البعض أصدر حكمه بأن دور الشاعر قد انتهى وبدأ دور العالم. لقد ماتت الرومانسية وصرعتها قوانين المادة. إنَّ الصواريخ وحدها هي التي تحلق الآن لا مخيلة الشاعر. هكذا يقولون فهل لك وجهة نظر مغايرة؟

❖❖ هذا رأي لا أؤمن به ولا أُقرُّ عليه أحداً. فالشعر والعلم مطلوبان كلاهما للإنسان. العلم يكتشف الكون ويدرس الإنسان والحياة كلها، والشعر يغني ويفلسف ويرود اللانهاية ويطير بالإنسان إلى آفاق الرؤى والجمال والروح.

إن تحليق الصواريخ ينفعنا في حربنا مع عدونا العنصري الشرس، ولكنه لا يروي ظمأ أرواحنا إلى الموسيقا والجمال والمحبة. إنَّ الشعر ضرب من عبادة الخالق العظيم. فكما أننا لا نستطيع الحياة حين نفقد إيماننا الجميل بالله.

كذلك لا نستطيع الحياة من دون شعر. لأن الشعر هو إنسانية الإنسان وتعطشه إلى المجهول وتحرُّقه إلى النشاط والحياة والخصوبة. والصاروخ المعاصر ليس هو المحلّق الوحيد. إن المتنبي والمعري وابن الفارض قد حلّقوا قبله، وسيحلّق بعده مئات وآلاف الشعراء في العالم كله.

هذا، ولقد تناول الفيلسوف الفرنسي الشاعر «**جان ماري غويو**» هذا الموضوع تناولاً رائعاً مبدعاً في كتابه الجميل «مسائل فلسفة الفن المعاصرة» . وقد أثبت فيه إثباتاً يدحر الشك أن الإنسانية لا غنى لها عن الشعر والفن، وأن آلية الحضارة الحديثة لا تتعارض مع جوهر الشعر، مهما تقدمت وحلقت.

❖ وبالمناسبة فإن هناك في عصرنا من يعذبه إحساسه الفادح بظاهرة كون التقدم العلمي لم يعط للإنسان خلاصه. لقد حقق بعض الرفاهية المادية، ولكن روحه ما زالت مغتربة مكروبة يهصرها القلق وينتهبها عدم الإحساس بالأمان. ويعتقد أصحاب هذا الرأي بأننا نعيش في عصر تقلصت فيه مشاعر الإنسانية. وكذلك تضاءل - وربما انعدم - دور الفن في تكوين الإنسان. ولهذا فإن روح الإنسان تضمر. فهل هي وجهة نظر ذاتية مغرقة في توجسها؟! أم أنها جزء من إحساس عام لدى إنسان عصرنا؟!.. وهل هي وجهة نظر صائبة، أم تراها تنطلق من نفوس ضلت طريقها إلى التوافق مع عصرها..

❖❖ أوافق على أن التقدم العلمي لا يروي ظمأ الروح الإنسانية، ولا ينجيها من المهاوي الرهيبة التي حفرتها أمامها وسائل المدنية الآلية الجارفة. فالحضارة المادية، - كما قال ليبولد فايس - ما زالت ذات عين واحدة، وهي عين المادة، أما العين الثانية التي هي عين الروح فقد انطفأ ضياؤها.. إننا محتاجون إلى أن نسمو بأرواحنا ونكثف حرقنا الروحية، بحيث نصل إلى إدراك الله من جديد، بعد أن هدم العلماء والكتّاب من أمثال «دارون» و«فرويد» و«ماركس» إيمان الإنسانية به، كما هدموا ثقة الإنسان بنفسه. ونحن نقلق؛ لأننا نقيم حياتنا على مظاهر التقدم العلمي وحدها، دون أن نرى إصبع الله فوق هذا

الكون الباهر الذي خلقه لنا ولو عدنا إلى عبادة الخالق، لازدهرت عواطفنا الإنسانية ثانية، وبزغ على العالم فجر متألق فريد لا مثيل له أن يكون الإنسان مسيطراً على المادة إلى درجة تسيير المركبات بين الكواكب القريبة، ويكون في الوقت نفسه مطمئن القلب، سعيداً بالحياة تمتلئ نفسه بالتطلعات الروحية. وسيكون أعظم كنز يملكه هذا الإنسان هو الإيمان بال؛ لأن هذا الإيمان سيجعله سيد الكون. وأنا أعتقد أن العودة إلى عبادة اللّه - ومن ثم اكتساب التوازن العاطفي - ستنبع من عالمنا العربي الإسلامي فنحن بطبيعتنا روحيون نؤمن بالغيب والمجهول، ونتعطش إلى الآفاق العليا، ولذلك كانت أرضنا مهد النبوءات الباهرة. وهذه الروحانية أثمن ما وهبنا اللّه ومنها وحدها ينبثق العلم. إن كل عالم ينطوي على تطلعات شاعر يسحره الكون فيتحرق إلى اكتشاف أسراره وتحديد أبعاده. والروحانية تواكب العلم في كل زمان ومكان؟!. لأن اكتشافات العلم تكشف عن المجهول الذي يبقى كامناً في الأشياء مهما عراها العلم فكلما اكتشفنا مجهولاً وجدنا خلفه مجاهيل أعمق وأشدّ إثارة.. ومما يثبت هذا كتاب رائع قرأته بالعربية وعنوانه: «اللّه يتجلّى في عصر العلم»، وفيه مقالات بأقلام علماء معاصرين كبار في مختلف العلوم، يثبتون فيها عن طريق تجاربهم ومختبراتهم في الكيمياء والفيزياء وعلم الحياة، بأن اللّه موجود، وبأنه هو الذي خلق هذا الكون المذهل الذي لا حدود له ولا نهايات. فالعلم المعقد العميق الذي وصل إليه عصرنا قد انتهى بالعلماء إلى القول الفصل بوجود خالق جبار لهذه الخليقة العظيمة. وأن هذا الخالق الجميل مسيطر على كل ذرة في الكون قادر على كل شيء. عالم بكل شيء ويصحب كل إنسان مهما كان تافهاً في كل لحظة من حياته وموته جميعاً[*].

* الزهور ملحق مجلة الهلال العدد (10) تشرين أول «أكتوبر» 1973، أجرى اللقاء الإعلامي الكبير عبد العال الحمامصي.

نازك الملائكة

آراء وانطباعات

بأقلام:
ريم قيس كبّة
فاروق شوشة
شوقي بزيع

نازك الملائكة: الثائرة الملتزمة

ريم قيس كبّة

لـن أعـود فـأقول كـل مـا قيـل.. ولـن أطيـل الحـديث عـن ريـادة هـذه السـيدة أو إبداعها كناقدة وكشاعرة وكمؤسسة لحركة شعرية غيرت خارطة الشعر العربي التي امتدت لقرن ونصف القرن.

بل سأحاول أن أخوض فـي درب آخر... ليس جديداً... لكنـه مختلف قليلاً ربمـا عن الكثير مما كتب منذ لحظة رحيلها... محاولة بـذلك أن أحـذو حـذوها هـي فـي الرغبة فـي الاختلاف!..

سـأحاول مـثلاً أن أتحـدث عنهـا كمترجمـة!... أو كعازفـة للعـود ومنشـدة... سـأحاول أن أروي بعـض تفاصـيلها كإنسـانة.. تلـك المـرأة الجديـة الحديـة الصارمة.. مرهفة الحس... الأنثى من نـوع خـاص... والابنـة مـن نـوع خـاص... والأم من نوع خاص... سأتطرق للحديث عنها كطالبة متفوقة وأستاذة حازمة، ومن كل ذلك سنخلص معاً إلى تلك التركيبة الفريدة التي كان أقل ما يمكن أن تفضي إليه: هو الريادة!..

البيت:

الأسرة العريقة... طبقة متوسطة مرتاحة مادياً... محبة للأدب والفن... العائلة مـن آل الجلبي البغدادية.. لكـن أهـل الحـي صـاروا يطلقـون علـى هـذه الأسـرة لقب «الملائكـة» لهـدوء أفرادهـا وخفـتهم.. كـانوا إذا مشـوا فكـأنهم لا يلمسـون الأرض... وإذا تحدثوا كانت أصواتهم واطئة وواثقة... ولا يتفوهون إلاّ شعراً...

الأب، صـادق جعفـر الملائكـة... أسـتاذ اللغـة العربيـة الـذي خـرّج أجيـالاً مـن المخلصين للغتهم وتـراثهم... شـاعر وباحـث... والأم: «سـلمى الملائكـة».. — الابنـة البكـر لهدايا كبـة - شـاعرة فطريـة لم تكـن تكـف عـن قـول الشـعر ونظمـه فـي كل المناسبات.

يقترن الأب بالأم وهي في ربيعها الرابع عشر لينجبا نازك بعد عام.. ولتتتلمذ الأم على يد الأب فتتعلم وتقرأ كثيراً حتى لا تعود محض ربة بيت وأم لسبعة أطفال (خمس بنات وولدين).. بل تتعدى ذلك لتغدو شاعرة...

في هذا الجو... تولد نازك... وتكبر... أب شاعر... وأم شاعرة... وأخوال شعراء... (عبد الصاحب الملائكة، أنور الملائكة، د. جميل الملائكة).. وأيضاً جدّة شاعرة...

نازك ترضع الشعر.. وتتغذى من عيون الأدب العربي... وتنهل من أمهات الكتب في بيت حيطانه من المكتبات.. وأهله ملائكة، يقدسون الأدب والعلم والفن والموسيقا والثقافة...

تحظى نازك الابنة المهتمة باهتمام الجميع... وتحترم آراءهم لينمو بالتدريج احترامها لذاتها وأدبها وفنها...

وحينما كانت نازك شابّة في عشرينيات عمرها، شاء حظ الأم أن تصاب بمرض عضال.... فتكون نازك رفيقتها إلى إنكلترا للعلاج... وتغادر الأم دار الفناء... لتجد نازك نفسها كابنة بارة... تجمع قصائد الأم وتطبعها في كتاب... ليكون ديوان «**أنشودة المجد**» لـ «أم نزار الملائكة» الوالدة... باقة ورد من وفاء على قبر في ضاحية إنكليزية...

نازك المرأة:

نازك المرأة التي تنتمي لتلك الأسرة العريقة الملائكية الأخلاق... تلبس ثوب القديسة... وتنذر روحها وجسدها لحبيب أوحد هو: الشعر... فتزهد بأنوثتها ... وتكرس نفسها للحبيب...

وإذ إن للملائكة رومانسية العالم السحري، فإن للثورة فيهم جزءاً لا يستهان به...

ولكن المرأة / الأنثى في نازك لا تثور على الجاهز من التقاليد الاجتماعية الصارمة... بل تثور المرأة / الشاعرة على الجاهز من تقاليد الشعر الفحولية

الصارمة!

ولأنها امرأة رغم كل شيء ، جاءت ثورتها أكثر جدية وإصراراً... فقد كبر الهم النسوي ليتحول إلى هم أدبي، مدفوع بتقديس للإبداع... واحترام للأفكار التجديدية.... وإخلاص حقيقي لمعنى كلمة ثورة!..

التجديد:

من رحم التراث العربي الأصيل، الذي تعقد نازك قرانه على الأدب الإنكليزي الذي كانت تدرسه في «دار المعلمين العالية» ببغداد... تولد أواخر عام 1947 قصيدة الكوليرا... منذ ديوانها الأول «عاشقة الليل».. تنبّأت الأوساط الأدبية بميلاد شاعرة كبيرة ومنذ ديوانها الثاني «شظايا رماد» تتنبّأ الأوساط الشعرية بميلاد ثورة وعالم جديد... هذا الديوان الذي عضدته نازك / الناقدة بمقدمة كانت بشهادة الكثيرين أهم وأشدّ دوّياً من مقدمة «**وليم ووردز وورث**» في تنظيره لحركة الرومانسيين الإنكليز.

نازك طالبة مجدة:

هي لا تعرف إلاّ أن تكون الأولى... فهي الأولى دائماً في المدرسة، والأولى في الجامعة، (الأولى في العائلة)... وأيضاً... بل الأهم... الأولى في الريادة!..

أمريكا.. جامعة «وسكنسن»، حيث حطت نازك حقائبها وأوراقها لدراسة الماجستير في الأدب المقارن.. فتنال الدرجة مع مرتبة الشرف، وتهم بالتقديم لدراسة الدكتوراه لتجد أحد أساتذتها يقف حائلاً دون ذلك ويثنيها عن استكمال دراستها بشدة محاولاً إقناعها بشتى الطرق:

يا سيدتي الشاعرة ستفقدين جوهر الشعر، إذا بقيت مصرة على استكمال دراستك.. دعي لفطريتك تحليقها وعودي بها إلى وطنك..!

وكانت نازك مصرّة أول الأمر:

- ولكن يا أستاذ هذا مستحيل.. كيف أعود بلا دكتوراه؟! لقد كنت الأولى في كل مراحل حياتي الدراسية، فكيف أترك الدراسة؟!... فيقول لها الأستاذ

المخلص بحماس:

- بالتأكيد كنت الأولى في المدرسة... وكثير كانوا كذلك.. لكنك الأولى في الشعر وهذا هو الأهم.. وقلة قليلة هم مثلك!..

عودي لشعرك وإبداعك.. وستمنحك الجامعات ذات يوم شهادات دكتوراه فخرية لن ينالها إلاَّ من هم مثلك..

وتصدق نبوءة الأستاذ.. بعد سنتين من هذا الحديث.. وتمنح نازك شهادة دكتوراه فخرية من عدد من الجامعات العراقية والعربية.. وتنالها نازك... بجدارة!..

تعود نازك إلى وطنها.. وجوهرة الشعر فيها تبقى براقة لامعة تعكس سطوع الملائكة...

ولا تقف الطالبة المجدة عند حد، رغم كل شيء.. تحب الموسيقا وتهوى العود.. فتقرر دراسته في معهد الفنون الجميلة.. وتغوص في بحر المقامات.. تحب الموسيقا الكلاسيكية... فتصر أن تسبر غورها بالبحث والدراسة، تحب الأدب الإغريقي واليوناني... فتدرس اللغة اللاتينية!.. تحب الأدب الفرنسي فتقرر قراءته بلغته، والترجمة عنه. تعشق عبد الوهاب.. فتحفظ عن ظهر حب كل ما تفوّهت به حنجرته الذهبية!... نازك لا تكاد تهوى شيئاً إلاَّ وسبرت غوره وغاصت فيه!..

نازك .. الأستاذة الحازمة:

جديتها كطالبة منحتها فرصة أن تكون الأستاذة الصارمة.. عميدة كلية آداب البصرة.. وأستاذة الشعر التي يهابها الجميع... طيبة حنونة لكنها غضوبة، لا تتهاون مع الكسالى والمستسهلين... غيورة على لغتها وإرثها وموسيقا الشعر الذي تدرسه! لم تكن تحابي أو تجامل على حساب العلم أو المعرفة..

الرهافة والصرامة: بهاتين الكلمتين قد نقع على مفتاح نازك... عيناها الثاقبتان كانتا تغوصان إلى أعماق من - أو ما - تريد النظر إليه!

أما الاعتداد بالنفس والتواضع فهما صنوان في روحها لا يفترقان...

نازك.. المرأة / الأم

في سنها الثامنة والثلاثين.. وبعد أن رسخت جذورها الشعرية والثورية في أعماق تربة الذائقة الشعرية العربية.. تجد نازك نفسها متعلقة بأحد أساتذتها... وتقرر أن تمنح للأنثى في روحها بعض السكينة.

وترتبط «نازك الملائكة » بالرباط الأبدي مع الدكتور «عبد الهادي محبوبة» مؤسس ورئيس جامعة البصرة... وبعد عام، في مستشفى السامرائي ببغداد تجد نازك نفسها قد أصبحت أماً.. بعد سنين طوال من تبنيها لطفولة الشعر والنقد والثورة!!..

وقد كانت - وهي بعد بنت صغيرة - قد تبنّت بعضاً من أطفال العائلة مراهنة على أن من الممكن جداً أنت تنشئ جيلاً من المثقفين الواعين بالمثابرة على توجيههم وإثراء روح الفضول لديهم للعلم والمعرفة.

وكانت - وهي بعد شابة صغيرة وراهبة في محراب الشعر - قد تبنت العشرات، بل المئات من الطلبة الذين أثرتهم بعلمها في جامعتي البصرة والكويت.

لكنها... وهي على أعتاب الأربعين من عمرها.. تصبح أمّاً بحق! فراحت نازك تسبر غور أدب الأطفال لترضي وليدها الوحيد «البراق»... فكتبت له الأغاني والأناشيد والقصص... ترجمت له حكايات الشعوب، وغنّت له على العود ما جادت به قريحة المبدعة.

نازك الأم الحقيقية، أورثت ابنها فضول المعرفة وحب الأدب والقراءة والموسيقا... وغرست في روحه بذرة الثقافة.

أول الغربة:

بعد انقلاب تموز 1968 في العراق تعرضت نازك الملائكة وزوجها إلى مضايقات وضغوط حدت بهما إلى ترك العراق والذهاب للعمل في التدريس

بجامعة الكويت.

وتمكث نازك وأسرتها عشرين عاماً في الكويت لكنها لا تنسى بلدها الأم.. فتدأب على زيارته كل عام.. تمر بأهله تسلم على دجلته وفراته.. تزور الأهل وتعود الأصدقاء وزملاء المهنة والشعر، تحضر المؤتمرات وتساهم في المهرجانات، فهي لم تترك وطنها العراق إلاّ مرغمة... ولا تكاد تغيب عنه بعض الوقت إلاّ لتعود إليه.

نازك المترجمة:

لن يفوتني وأنا أمر بسيرة الشاعرة وبعرض سريع لمنجزها أن أشير إلى هذه المبدعة بصفتها مترجمة.. فوفقاً لدراسات وبحوث في الأدب المقارن، تصنف نازك لتكون من أفضل مترجمي الشعر إلى العربية، رغم قلّة ما قدّمته في هذا المجال.. وتحضرني في هذا المقام دراسة قام بها الدكتور سلمان الواسطي (أستاذ الأدب الإنكليزي في الجامعة المستنصرية) حينما أشار إلى ترجمات نازك للأدب الإنكليزي، ومضى في تحليل ترجمتها لقصيدة ،مرثية في مقبرة ريفية، للشاعر الإنجليزي «توماس غراي»... مؤكداً أنها - نظراً لثقافتها العالية في اللغتين المترجم منها، والمترجم إليها - فإنَّها من القلائل الذين برعوا في هذا المجال... فقد كانت حريصة على الحفاظ على روح النص الأصلي ومخلصة له وللغته، مع حرصها على اللغة العربية التي ترجمت إليها.. وهذا هو أصعب ما في ترجمة الشعر، فجاء النص وكأنه مكتوب بالعربية الخالصة.. من دون المساس بروح الشاعر الإنكليزي.. أو دونما خسارة للفحوى أو الروح في النقل!.

العودة إلى الوطن:

مع انتهاء الحرب الدامية بين العراق وإيران، تكون نازك قد لملمت أرجاء بيتها الذي بلغ عامه العشرين في الكويت. ووضعت في الحقائب أوراقها وكتبها وورقة التقاعد من الجامعة هناك.. عائدة إلى حضن بيتها الدافئ في بغداد أواسط عام 1989.

فتستقر قليلاً ذاتها المتفائلة بنهاية الحرب... بعد أن كان التفاؤل قد خدع ببريقه بعض الوقت معظم العراقيين الذين تتوق أرواحهم للسلام.

فهل كانت في صدر نازك نبوءة تشي بدمار الكويت، فاختارت العودة قبل الكارثة؟! لا أحد يمكنه أن يجيب على هذا السؤال إلاّ الملائكة! ولم يكد يمر عام واحد إلاَّ وتدق حرب الكويت طبولها ومدافنها على رؤوس البيوت الآمنة.

العزلة:

وفي هذا الوقت بالذات.. كانت نازك قد ابتدأت باختيارها عزلتها.. لم تكن بعد قد عزلت نفسها عن الحياة الاجتماعية لكنها آثرت عزلة إعلامية أولاً.. فكانت ترفض مقابلة أي صحفي أو إعلامي.. وترفض أي ظهور لها على التليفزيون أو في الراديو.. وامتنعت عن نشر أي مقال أو قصيدة.. ولم تشارك في ندوة أو أمسية أو مهرجان.. ولم تكن تحضر أي تجمع أدبي..

لكنها لم تكف عن الكتابة رغم كل شيء، وانكفأت على إنجاز كتابها «سايكولوجيا الشعر» الذي طبعته في بغداد عام 1993، عن دار الشؤون الثقافية العامة... وهو كتاب نقدي مهم بلا شك.. ومنذ ذلك الحين، بدأت تلاحقها الإشاعات.. وكانت نازك غالباً ما تبتسم وترد بصوت ملائكي هادئ:

وأهتف يا نارُ قلبي الغريب

وموج أحاسيسي الثائرة..

إذا اتهموا، فلماذا أجيب؟

بغير ابتسامتي الساخرة؟!..

الأردن:

ست سنوات فقط كانت المدة التي شاء قدر نازك أن تقضيها في وطنها، عند مسقط رأسها ووسط أهلها في العراق.. لكن ثقل الحصار الذي حط أوزاره فوق صدور العراقيين عزلة وهماً حال دون هذا البقاء.

فتشد الشاعرة رحالها من جديد إلى محطة أخرى هي الأردن عام 1995، حيث تلتقي بولدها الوحيد البراق عائداً من الولايات المتحدة وبين يديه شهادة الدكتوراه في الأدب الإنكليزي.. فليتم شمل الأسرة لعام واحد في هذه المحطة بين استقرارين؟!..

من خَبِر العيش على ضفة نهر أو شاطئ بحر، لا يمكنه أن يطيل البقاء في مدينة بلا ماء... مثل عمان!! وقد ولدت نازك على إحدى ضفاف دجلة، ونشأت وترعرت في بغداد التي شطر هذا النهر الخالد كرخها عن رصافتها.. وحينما عملت في جامعة البصرة، كان شط العرب مدى نازك الرحيب، وبديلها الحميم عن دجلة الذي تبغيه بعد ذلك الخليج العربي عندما عاشت في الكويت.

لذا فلن نتعجب أن تعتبر الراحلة عمان محطة توصلها إلى شط حميم، طالما زارته وأحبته وغنته وكتبت عنه.. فكان الليل ملاذها الأخير.

هل تراجعت نازك عن ثورتها؟!..

بقي أن تمر على ذلك ولو مرور الكرام.. رغم أننا مهما قلنا فلا أظننا يمكن أن نفي هذه المبدعة المتفردة حقها.. فهي مرهفة الحس، صادقة صارمة، حتى مع نفسها.. لم تحاب ولم تساوم، وحتى حينما ذهب الكثيرون إلى القول: إنها تراجعت عن ثورتها الشعرية، فلابد لنا من إجابة ولو سريعة بالقول: إنها لم تتراجع.. بل لقد كانت غيورة على تراثها، تخاف عليه من الطارئين والمستسهلين، وقد عمدت إلى تقديم شرح عميق ومفصل عن هذه الحركة الشعرية الجديدة.. التي قالت عنها إنها: «إذا كانت تفي غرضاً أو سواه في الشعر فإنها لن تفي شعرنا كل أغراضه، فهي اختارت لثورتها نصف البحور الشعرية... وخافت على نصفها الثاني من الضياع!!! لقد كتبت بصدق ووضوح: إما أن تندثر أغراض الشعر القديم.. أو أن تندثر حركة الشعر الحر»

نازك الملائكة لم تكن محض مغامرة، لقد كانت من ذلك النوع الفريد من

المبدعين المنذورين للفن والإبداع، ولذا فقد كانت في غاية الحذر والالتزام حتى وهي ثائرة!.

القاهرة... الملاذ الأخير

النيل كان ملاذها الأخير.. حطت على ضفته رحالها ذات صيف من عام 1996 ، وبقيت تناجيه ويناجيها حتى غادرت دار الفناء، وشاء القدر أن يوارى جثمانها الثرى على مبعدة عدة كيلو مترات من هذا النهر الخالد.

وتنام الشاعرة نوبتها الأبدية في مدافن 6 أكتوبر، عند قبر زوجها المرحوم الدكتور عبد الهادي محبوبة.. كما أوصت أن تنام... بعد أن استبدت بها العزلة حينما فارقها الزوج - الحبيب، فعاشت بعده سبع سنوات، رافضة لقاء أي أحد إلاَّ بعض أفراد عائلتها.

فهل أبعدتها عن العالم ظروف العراق؟!

وهل مرهفة الحس قد اكتوت برحيل المجد عن أمتها؟!..

أم أنها آثرت الصمت ذهباً من أبلغ القصائد، احتجاجاً على عالم ظل يجتاحه السواد؟! فقررت أن تمسحه بملائكيتها البيضاء، وأرخت كل السدول على عوالم أرضية فانية، وطارت مع الملائكة إلى البعيد... تاركة وراءها المجد والخلود... وأجيالاً من الأدباء والشعراء والأساتذة الذين لم يتتلمذوا على يديها فعلاً، فقد تعلّموا عبر منجزها وكتبها ومقالاتها، أو أنهم تبعوها حتى دون أن يكونوا عارفين بمن سنّ قبلهم هذه السنة الحسنة أو أنهم قرؤوا أو حفظوا أو ردَّدوا تفاعيل قلبها ورفرفة أجنحتها الملائكية!..

الوداع:

في العاشرة والنصف من مساء الأربعاء 2007/7/20 في ردهة العناية المشددة لمستشفى السنابل في حدائق القبة... كنت أقبّل جبينها الحاني بعيد رحيل روحها بدقائق وقلتُ لها ملء روحي:

نامي يحفظك الله أيتها الجميلة

فمثلك لا تغيب.. ولن تغيب

نامي بحفظ الله .. أيتها الرسولة(*)

---

* مجلة أدب ونقد العدد (264) آب «أغسطس» 2007م.

نازك الملائكة
وتجليات إبداع نصف قرن

فاروق شوشة

منذ نصف قرن، كتبت الشاعرة العراقية نازك الملائكة تقول: «الذي أعتقده أن الشعر العربي يقف اليوم على حافة تطور جارف عاصف، لن يُبقي من الأساليب القديمة شيئاً، فالأوزان والقوافي والأساليب والمذاهب ستتزعزع قواعدها جميعاً، والألفاظ ستتسع حتى تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير، والتجارب الشعرية - الموضوعات - ستتجه اتجاهاً سريعاً إلى داخل النفس، بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد. أقول هذا اعتماداً على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته، وأقوله **لأنه النتيجة المنطقية لإقبالنا على قراءة الآداب الأوروبية ودراسة أحدث النظريات في الفلسفة والفن وعلم النفس**.

والواقع أنَّ الذين يريدون الجمع بين الثقافة الحديثة وتقاليد الشعر القديم، أشبه بمن يعيش اليوم بملابس القرن الأول للهجرة، ونحن بين اثنين: إما أن نتعلم النظريات ونتأثر بها ونطبّقها، أو ألاّ نتعلمها إطلاقاً..»

واختتمت نازك الملائكة نبوءتها الشعرية بقولها:

«إنني أؤمن بمستقبل الشعر العربي إيماناً حارّاً عميقاً، أؤمن أنه مندفع بكل ما في صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانات، ليتبوأ مكاناً رفيعاً في أدب العالم..

وألف تحية لشعراء الغد!..»

والمتأمل الآن في جماليات العربية عبر تجليات الإبداع الشعري خلال مسيرة نصف قرن من المغامرة والتجريب والاختلاف، يدهشه أن نبوءة نازك كانت بداية الشرارة لموجات متتابعة من الإبداع، جسّدت نموذج قصيدة الشعر الجديد، الشعر الحر، ثم تجاوزت هذا النموذج إلى قصيدة النثر، ولا يزال باب

الدهشة مفتوحاً لكل من يمتلك الموهبة العاتية ، والقدرة على فعل التغيير، واكتشاف جماليات جديدة لم تكن معروفة من قبل.

تقول نازك الملائكة وهي تتجه بخطابها الشعري إلى العام الجديد :

يا عام لا تقرب مساكننا، فنحن هنا طيوف

من عالم الأشباح، ينكرنا البشر

ويفرّ منا الليل والماضي، ويجهلنا القدر

ونعيش أشباحاً تطوف

نحن الذين نسير

لا ذكرى لنا

لا حلم،

لا أشواق تشرق،

لا مُنى

آفاق أعيننا رماد

تلك البحيرات الرواكد في الوجوه الصامتة

ولنا الجباه الساكتة

لا نبض فيها، لا اتقاد

نحن العراة من الشعور، ذوو الشفاه الباهتة

الهاربون من الزمان إلى العدم

الجاهلون أسى النوم

نحن الذين نعيش في ترف القصور

ونظلّ ينقصنا الشعور

لا ذكريات

نحيا، ولا تدري الحياة،

نحيا، ولا نشكو، ونجهل ما البكاء

ما الموت، ما الميلاد، ما معنى السماء

ثم تقول نازك:

يا عام سر، هو ذا الطريق

يلوي خطاك، سُدى نؤمل أن نفيق

نحن الذين لهم عروق من قصب

بيضاء أو خضراء، نحن بلا شعور

الحزن نجهله، ونجهل ما الغضب

ما قولهم: إن الضمائر قد تثور

ونود لو متنا فترفضنا القبور

❖❖❖

هذه اللغة المتململة... وهذا الانعطاف إلى الداخل دوراناً في تلافيف الذات، وزوايا الوجدان، وهذه الرؤية القاتمة التي تستشرف غداً يأتي به عام جديد، لكنه يأتي لمن هم عراة من الشعور، وهاربون من الزمان إلى العدم.

بعد نصف قرن، من تجليات الإبداع العربي، ومن نبوءات نازك، هل يمكن وصف الحال بأنه قد تغير، وهل يمكن قراءة الوجه الباطني لشعر نازك قراءة ترى في التململ علامة على الثورة والتمرّد، وفي الدلالات الحزينة والقاتمة غضباً مكظوماً وبركاناً يوشك أن ينفجر؟.. إن الجديد الذي مثّله شعر نازك، بكل ظلاله وجمالياته وروعة تشكيله وانسيابيته - في تلك المرحلة منذ نصف قرن - يكمن في دائرة التحوّل، والاستبصار بالتغيير القادم، وحتميته ومشروعيته في آن..

حتى في حواريتها التي أدارتها بين شخصيتين أولاهما نازك في مرحلة «قرارة الموجة» وثانيتهما نازك في مرحلة «شجرة القمر».

حتى في هذه الحوارية تتفجّر ينابيع الثورية والتجديد، من خلال لغة نازك الشفيفة، المحمَّلة بالوعي والخبرة، النابضة بالحكمة والحياة، عندما تقول

الثانية للأولى:

ألا يبدو أن فتاة أخرى هي التي ستتحكم في شعري أنا؟ واحدة لا أعرفها الآن، ستتبع من المستقبل وتواجهني ولن يروقها شعري، أغنيتي هذه الأخيرة التي تنتفض فيها الوردة الحمراء، وتتفجّر الدموع المختبئة فيها، هذه الأغنية التي أراها أنا أجمل ما يمكن أن أنظم، يجوز أنها لن تسمح لي بنشرها كما أصنع أنا بقصائدك.

وعندما يحتدُّ الحوار بينهما حول الفلسفة، حول **معنى المعنى في النص الشعري**، وما يمكن أن تبوح به القصيدة من جلوات الفكر وإشراقات الروح، تحاول الأولى أن تستشهد بقصيدة عنوانها «طريق العودة» لأنها تلخّصها، فتجيبها الثانية: طبعاً تلخّصك، ولهذا أراني لا أنسجم معك، إني أحب طريق العودة ولا أستسيغ كرهك له وثورتك عليه، اسمعي ما تقولين:

لماذا نعود؟!..

أليس هناك مكان وراء الوجود؟

نظلّ إليه نسير

ولا نستطيع الوصول

فترد الأولى في لهجة حالمة: حقّاً، لماذا نعود؟!..

إن طريق الرواح مملوءة بالحياة والجمال دائماً، وما نكاد نقرر الرجوع حتى يركد كل شيء، وتلوح الأشياء جامدة مملّة، طريق الرواح يعرض علينا الأشياء أول مرة، فنراها بلهفة تخفي ما فيها من معايب، بينما يقدّمها لنا طريق العودة، وقد فقدت جدّتها.

عندئذٍ تتولى الثانية - وهي نازك في نضجها واكتمالها، واتساع دائرة وعيها بالحياة والإنسان - مهمة تقديم الوعي الكاشف والتحليل العميق، وهو وعي يمتزج أحياناً بقدر من السخرية والرغبة في لفت الانتباه إلى أهمية التغيير في الموقف والرؤية والإحساس، تقول:

وَأسفاه، أنت إذن تؤمنين أن آمالنا هي دائماً أجمل من تحققها، أترى الكأس أعذب حين لا نملكها؟! أتصبح بلا طعم إذا نحن بلغناها وتناولناها؟!..

إنك يا صديقتي - تقصد نازك الأولى - لا تقوين على التحديق في الأشياء خوفاً من أن يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى، أليس هذا هو السرّ في قصيدتك «لنفترق» ، فلماذا أردت هذا الفراق وألححت عليه؟!... اسمعي أبياتك:

وما زال وجهك مثل الظلام له ألف معنى

وقد يعتريه جمود الصّنم

إذا رفع الليل كفّيه عنّا

هكذا تحاولين أن تهربي من التحديق في الأشياء، وتؤثرين أن تستبقي على عينيك غشاوة تحجب عنك كل شيء، إنك تكرهين أن تبلغي القمة، لئلا يلوح لك المنحدر، وتمقتين أن تصلي إلى نهاية الطريق، لئلا تضطري إلى الرجوع، وتحبين ، ماذا تحبين أنت؟! إنك بكلمة واحدة لا تحبّين الوصول إلى أي مكان.

وفي نهاية هذه الحوارية - التي تعد من إبداعات نازك النثرية التي ترقى إلى أفق إبداعاتها الشعرية - لغة وإفضاء وجمال صياغة وإحكام تعبير وهندسة بناء وجدلية فكر - في نهايتها تقول الثانية للأولى التي أعلنت عودتها إلى قوقعتها: أما أنا، فإن نفسي الجديدة تنتظرني في مكان ما من المستقبل القريب، وسأذهب للقائها!

إن شاعرية نازك الملائكة - على امتداد مسيرة نصف قرن - تظل شاهد التحوّل والمغامرة، ووعي التغيير وضرورة التجديد، وتبقى مساءلة دائمة تطرحها الشاعرة على ذاتها ديواناً بعد ديوان، وقصيدة بعد قصيدة، وأفقاً بعد أفق، ودرساً للأجيال الشعرية الراهنة والقادمة، في معنى الشعرية الأصيلة، ومعنى تجاوزها المستمر لذاتها اكتشافاً ومساءلة.

هل نختتم تجليات الجمال في شعر نازك ونثرها بهذه اللوحة الشعرية النثرية

«أغنية القمر»:

كأس حليب مثلّج ترف

أم جدول سائل من الصدف؟

أم غسق أبيض يسيل على

خدود ليل معطّر السدف؟

أم حقّ عطر ملوّن خضل

يفطر شهداً لكلّ مغترف؟

أم أنت خدّ مزنبق أرج

ينعس فوق الأعشاب والسعف

يا فضة كالضياء ليّنة

يا لون حبي القديم، يا شغفي!..

❖❖❖

ما أنت يا دورق الضياء، ويا

كواكباً في الظلام منصهرة؟

يا قُبلاً سوسنية سكبت شهداً

مصفّى في ليلة عطرة

يا قُبلاً سوسنية سكبت

شهداً مُصفّى في ليلة عطرة

يا مخبأ للجمال، يا حُزماً

من زنبق في السماء منعصرة

ويا شفاهاً من الضياء دنت

تمسح وجه العرائس النضرة

يا بركة العطر والنعومة يا

سلّة فلّ في الأفق منحدرة!

نازك الملائكة

وداعاً

1923 – 2007

الشاعرة الثائرة تستكين للموت

شوقي بزيغ

لـن أدخـل هنـا فـي سـياق السـجال الطويـل والعقـيم، الـذي دار بـين النقـاد والدارسين حول الأسبقية الزمنية لكل من قصيدة (كوليرا) لنازك الملائكة، وقصيدة (هل كان حياً؟!) لـ بدر شاكر السيّاب وأيُّهما سبقت الأخرى. فكلتا القصيدتين قد استهلتا تاريخاً جديداً من الكتابة الشعرية العربية؛ لأن المسألة باعتراف نازك نفسها لا تتعلق بالمصادفة العابرة أو السبق العرضي، بل بمشروع ثقافي ورؤية إبداعية متكاملة يحكمها الوعي وإرادة التغيير من جهة، والتحوّلات الاجتماعية العميقة من جهة أخرى. ولو لم يكن المشروع المستند إلى الوعي والدأب معيارًا في تحديد مفهوم الريادة الشعرية، لوجب أن تعزى هذه الريادة إلى شعراء أسبق في الزمن من بدر ونازك، مثل علي أحمد باكثير، وبديع حقي، ولويس عوض، فضلاً عن العراقي أحمد مطلوب الذي تعتبره نازك في كتابها النقدي المتميز (قضايا الشعر المعاصر) أول من كتبَ الشعر الحر في العام 1921.

الشعر والأنوثة

إنَّه لمن اللافت حقّاً أن تكون نازك الملائكة قد ولدت في العام نفسه الذي ولد فيه نزار قباني، لا بسبب التشابه بين التجربتين، بل بسبب الدلالات المختلفة التي يرسمها كل منهما في إطار الحداثة الشعرية الوليدة، كما في إطار العلاقة بين الشعر والأنوثة. فهما يتقاطعان في كون كل منهما قد عمل

على خلق حساسية مختلفة ومنظور جديد للكتابة يقترب من الحياة نفسها، ويبتعد عن التصاميم الجاهزة وبلاغة القواميس والتأليف الذهني البارد. دون أن نغفل بالطبع أن شعر نازك كان يجنح نحو **الأسئلة الفلسفية ذات البعد الوجودي. في حين راح شعر نزار يغرف من معين الحواس والتفجر الشهواني والالتحام المباشر بالكائنات والأشياء**. الدلالة الأخرى التي تستوقف القارئ المتأمل تتعلق بالحيز الذي تشغله الأنوثة في التجربتين المتغايرتين. فالأنوثة هي المجال الحيوي لشعر قباني الذي لا يجد نفسه خارج جاذبيتها وإغوائها وموضوعها وحقل مفرداتها، ولو أن ذلك الأمر كان يتم من موقع «الذَّكر» الأوحد الذي يتوّج مفهوم الفحولة القديم عند العرب والذَّكر هنا هو الموكل، على غرار سلفه عمر، بالفتنة الأنثوية بقدر ما هو المخول بأن ينوب عنها في اللغة والتعبير. في حين أن ريادة الملائكة للحداثة الشعرية هي نوع من حرب الاسترداد التي تخوضها الأنوثة لانتزاع حقها في الحياة كما في اللغة، وفق ما يراه الناقد السعودي عبد الله الغذامي، واللافت عند نازك أنها لم تقع في الفخ الذي وقعت فيه نساء كثيرات، ولم تستدرج إلى منزلة لا تريدها مع الرجل - الذَّكر، بل ذهبت إلى الأسئلة الأكثر عمقاً التي تضع الرجولة والأنوثة في موضع واحد.

لا يغيِّر من الحقيقة في شيء أن يكون «**بدر شاكر السياب**» شريكاً لـ «**نازك الملائكة**» في ريادة القصيدة الحديثة، فشعر السياب، من حيث ظلاله النفسية وتموجاته الإيقاعية الحزينة هو شعر أنثوي بامتياز.

إنه شعر القلب المكسور والألم الممض الذي لا يحبس نفسه مكابراً كما يفعل الذكور، بل يتواشج مع حسراته مثقلاً بالبوح والترجيع كما هو الحال مع الإناث، ثمّة أمر آخر يجمع بين السياب ونازك هو انتسابهما معاً إلى معهد المعلمين العالي (في بغداد) كما هو الحال أيضاً مع البياتي ولمعية عباس عمارة، إضافة إلى اطِّلاعهما على الآداب العالمية، ولو أن الأخيرة تفوقت على

صاحب «أنشودة المطر» في مجال الثقافة والاطّلاع والإلمام باللغات الأجنبية، بحكم ظروفها العائلية المؤاتية من ناحية، وبسبب إقامتها المتكرر في أمريكا لمتابعة تحصيلها الدراسي من ناحية أخرى. لكن ما يثير الدهشة في هذا الإطار هو أن أصول نازك الأولى تعود إلى عائلة «الجلبي» العريقة والثرية، في حين أنّ هذه العائلة نفسها، هي التي أثارت شجون السياب العاطفية والنفسية والطبقية، ووقفت وراء كتابه الشعري الشهير «شناشيل ابنة الجلبي».

الملائكة المهذبون

في كتابها حول نازك الملائكة تروي الكاتبة اللبنانية حياة شرارة فصولاً شائقة من سيرة الشاعرة العراقية التي كانت تعيش في القاهرة مريضة وشبه وحيدة وبعيدة عن الأضواء، والتي لم تأبه لبريقها في أي وقت من الأوقات. وما لفتني في هذا الصدد هو أن اسم الملائكة قد أطلق على العائلة قبل قرنين من الزمن بفعل التهذيب المفرط لأبنائها، في حين أن أباها صادق الملائكة أعطاها اسم نازك تيمناً بـ «**نازك العابد**»، إحدى المناضلات السوريات ضد الاحتلال الفرنسي في الربع الأول من القرن العشرين. كما أن رد فعل والد نازك لدى سماعه قصيدة «الكوليرا» المكتوبة وفق نظام الشعر الحر بدا شبيهاً في غرابته بالذهول الذي أبداه ابن الخليل بن أحمد الفراهيدي لدى تلصُّصه على أبيه وهو يردد بصوت مسموع بعض بحور الشعر وتفعيلاته.

وإذا كان طفل الخليل قد ذهب إلى أمه صائحاً: «ويلتاه لقد جنَّ أبي!!».. لدى سماعه ما لم يُفهم، فإن والد نازك المثقف والمحبّ للشعر العمودي لم يذهب إلى حدّ اتهام ابنته بالجنون، بل اكتفى بعدم استساغة تفعيلات «المتدارك» الجديدة، والتي تكرر معها مفردة (الموت) مرات عدّة، وارتجل بيته الشعري:

لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيذ!!..

لم تترك نازك الملائكة الأثر الذي تركه السيّاب في نتاج الأجيال التي تلتها، لكن القامة العالية للسياب لم تكن وحدها السبب في ذلك، بل أرجِّح أن

يكون السبب عائداً إلى الفروق بين التجربتين، فالغنائية العالية عند السياب وما تستتبعه من تفجر عاطفي وإيقاع عذب ومتدفق تغري اللاحقين باحتذاء النموذج السيابي واستسهال محاكاته، في حين أن شعر نازك يقوم على عناصر مغايرة **كالتأمل الهادئ والمساءلة الوجودية والإيقاعات الأكثر خفوتاً**، كما أن الشعراء الذكور، بسبب من ذكوريتهم الطاغية، يأنفون من محاكاة النموذج التعبيري الأنثوي، على الرغم مما حققته الحداثة من انعطاف وتغيُّرات. وإذا كنا نرى ظلالاً لتجربة نازك في بعض نماذج الشعر العربي «النسوي»، كشعر «فدوى طوقان» على سبيل المثال، فإنَّ هذه الظلال ما لبثت أن خَبَتْ وتراجعت فيما بعد، خاصة وأن معظم الشاعرات العربيات المتأخرات قد انصرفن عن قصيدة التفعيلة باتجاه قصيدة النثر، التي رأين فيها على الأرجح قطيعة نهائية مع النموذج الخليلي الفحولي.

قدرة على التحرر:

على أن المتأمل في شعر **نازك الملائكة** يدرك أن قيمتها الفعلية، لا تتمثل في قابلية شعرها للتقليد أو تحوله إلى نموذج أولي يقتدي به اللاحقون، بل في قدرتها الفائقة على التحرر من عقدة الثأر من الرجل من جهة، ومن النزوع الأنثوي «الأيروتيكي» من جهة أخرى، على الرغم من أن لديها الكثير من الأسباب لكي تقع في هذا الفخ. وقد تكون تربية نازك المحافظة ونشأتها في أسرة متعلقة بأهداب القيم الموروثة، هي من بين العوامل التي دفعتها إلى احترام العادات والتقاليد المحيطة بها من كل جانب. وعلى الرغم من إقامتها الطويلة في أمريكا، فنحن لا نلمح في شعرها ما يشي بالتجرؤ على الأعراف السائدة وتجاوز المحظورات، لا بل إننا لا نكاد نعرف شيئاً عن حياتها الخاصة أو عن علاقاتها العاطفية التي سبقت الزواج، واللافت أنها لم تقدم على كتابة سيرتها الشخصية، على الرغم من أنها عاشت منذ عشرينيات القرن الماضي حياة مديدة وحافلة بالتجارب والأحداث. وتجربتها من هذه الزاوية تذكّر مرة

أخرى بتجربة فدوى طوقان التي عاشت هي الأخرى في بيئة محافظة في مدينة نابلس. وبالرغم من أنها كتبت سيرة روائية شائقة في كتابيها: «رحلة صعبة» و«الرحلة الأصعب» فإنها حذفت من سيرتها معظم ما يتعلق بحياتها العاطفية، ولم تأت بكلمة على ذكر علاقتها بالناقد المصري أنور المعداوي، على الرغم من أنَّ هذه العلاقة لم تخرج عن طابعها الرومانسي العذري كما يؤكد رجاء النقاش في أحد مؤلفاته.

نستطيع تبعاً لذلك أن نذهب إلى القول: إن خروج **نازك الملائكة** على البنية الذكورية العمودية للشعر العربي، كان يعني فيما يعنيه تعبيراً رمزياً عن توقها إلى التعبير باللغة عما لم تستطع أن تعبِّر عنه في الواقع وما ظلت أسيرته على مستوى الأعراف والتقاليد.

وقد يكون أدونيس قاسياً بعض الشيء حين اعتبر في أحد حواراته أن «**الشعر الحرَّ بالنسبة إلى السيدة نازك الملائكة إنما هو في التحليل الأخير مسألة عروضية. وإذا كانت مشكلة الشعر العروضية منسجمة مع منطلقاتها فإن الشعر الجديد أوسع وأغنى من أن يكون قضية عروضية، حتى فهمها للإبداع العربي فهو في رأيي فهم خاطئ، أو بتعبير أدق فهم محدود وقاصر**»، لأن نازك تؤكد في كتابها «قضايا الشعر المعاصر» أن الحرية في الشعر ليست محض مصادفة من المصادفات، بل إنها ترتبط بعوامل عدة من بينها التعبير عن تحوّلات الحياة والنفور من النموذج النمطي والهرب من التناظر وإعادة الاعتبار إلى المعنى بعد طغيان الشكلية واستفحالها. ومع ذلك فلابدَّ من الاعتراف بأن نازك، بسبب النشأة أو الخوف أو واقع المرأة العربية وظروفها، لم تذهب في الحداثة إلى نهاية الشوط ولم تحوّلها إلى مشروع شامل للتمرد والتغيير ورفض الانصياع للقيم السائدة، وإن كان علينا أن نأخذ بعين الاعتبار فظاعة الواقع العربي، والعراقي بوجه خاص، والقيود الهائلة التي يفرضها على المرأة.

قد تكون هذه الظروف نفسها هي التي صبغت معظم قصائد **نازك** بلون الحزن

والمرارة والحداد، وجعلت الموت يحتلّ موقعاً متقدماً في نظرتها إلى الوجود والأشياء.

ولكن الجانب الإيجابي في هذه اللوحة القاتمة، يتمثل في قدرتها على تحويل حزنها إلى مادة للتأمل الهادئ والتبصر العميق في أحوال النفس وأسرارها، وهو ما تكمن ملاحظته في قصائد من طراز: «أجراس سوداء» و«مرثية يوم تافه» و«الشخص الثاني» و«الخيط المشدود في شجرة السرو» وغيرها.

أما ما يحكى عن ارتدادها عن الحداثة، فهو لا يغيّر شيئاً من جوهر الأمر، لأن الأم لا تستطيع أن تعيد إلى رحمها الطفل الذي أنجبته، بل تصبح له حياته المستقلة، كما لا يستطيع مطلق النار أن يعيد الرصاصة بعد إطلاقها إلى مكانها الأول. ثم إن الشاعرة في مقدمتها للطبعة الثانية من كتابها «قضايا الشعر المعاصر» تنفي ارتدادها عن مبدأ الحداثة نفسه، ولو أنها تبدي الكثير من التشاؤم إزاء مستقبل الشعر الحر الذي بات في رأيها نهباً للتسيب والفوضى الشاملَيْن، وإذا كنّا لا نوافق على بعض أفكار الشاعرة، كموقفها المتحفظ من القصيدة المدورة التي زاولت تطويرها فيما بعد، أو موقفها السلبي من قصيدة النثر، فإن ذلك لا يقلّل من صوابية آرائها الأخرى ومن قراءتها العميقة لواقع الشعر العربي وآفاق تطوره في المستقبل، كما لا يعفينا من الاعتراف بأننا مقصرون إلى أبعد الحدود إزاء شاعرة رائدة، ارتضينا نحن الأبناء والأحفاد أن نبادل عطاءها بالعقوق، وأن نتركها وحيدة وعزلاء في مواجهة المرض والشيخوخة والمنفى(*).

---

* مجلة العربي العدد (585) آب «أغسطس» 2007م.

مختارات شعرية

آدم وحواء

حَسْــــبُها أننـــــا دفعنـــــا إليهـــــا	ثمــــن العـــــيشِ حَيْــــرةً ودموعـــــا
أيُّ ذنــــــبٍ جنـــــــاه آدمُ حتـــــــى	نتلقـــــى العقـــــابَ نحــــنُ جميعـــــا
ولـــــيكن آدمٌ جَنَـــــى حســــبُهُ فُقْــــد	ـــــدانُ فردوسِـــــهِ الجميـــــلِ عقابـــــا
حســــبُهُ يــــا حيــــاةُ أن هـــبط الأر	ضَ ليحيــــــا ويجـــــرعَ الأوصـــــابا
حســــبُهُ أنَّـــــهُ أتـــــى الأرض مطـــرو	داً مــــن الخُلْـــدِ مســــتطاراً حزينـــــا
حسبُهُ مــا رأى مــن الشــرِّ والإثـــــ	ـــــم ومــا ذاق مــن عــذاب الســنينا
ليــت شــعري مــاذا يــروق لعينيْـــــ	ـــــهِ على الأرضِ بعد سحر السماء
كيف ينسَى جمال فردوسِهِ المفـــــ	ـــــقود فـــي عـــالمٍ دجـــيِّ الفضـــاء
كيف ينسَى الأمس الجميل ليهنا	بحيــــــاةٍ موســــــومةٍ بالشـــــقاء؟
ليس يحيا فيها سوى الآثمِ الجَبْـــ	ـبَـــــــار يـــا رحمتـــاهُ للضـــعفاء



عيون الأموات

يـا رُفـاتَ الأمـوات فـي الأرض مـاذا   رَسَـمَ المـوتُ فـوق هـذي العيـونِ؟
أيّ رعـــبٍ وحَسْـــرَةٍ وشَـــكاةٍ   أيُّ معنـى مـن الرجـاء الحـزين؟

كـلُّ عيـنين فيهمـا صـور تبـــ   ـــكي وترثـي للعـالم المغـرورِ
كـلُّ عيـنين تسـخران مـن العَيـْـ   ـــشِ وتهـــزآان بالمقـــدور
كـلُّ عيـنين تنظـران إلى الأُفْـــ   ـــقِ بعيداً عن كل ما في الحياة

آهِ يـا ربِّ آه لـو فهـم الأحـــ   ـــياء مـاذا فـي أعـين الأمـواتِ
يـا فتـاةَ الخيـالِ حسـبُكِ شـدوا   برثـاء المـوتى وحسـبُك حزنـا
سـوف يبقـى الخصـام والشـر مـا عـا   ش الأناسـيُّ والأناشـيدُ تفْنـى
هكـذا شـاءت المقـادير للعـا   لم إثـمٌ وشـقوةٌ وحُـروبُ
وهـي النفسُ تحمـلُ الشـرَّ والبُغـــ   ـــضَ فمـاذا يُفيـدُها التهـذيبُ
كم تغنّى بالسلم والحبّ والرَّحـــ   ـــمةِ من شاعر ومن فيلسوف
أسـفاً ضـاعت الأغـاني ولم تَبْـــ   ـــقَ سوى ضَجَّةِ القتـال العنيـف
يـا لهـذا الكـون المعـذب فـي قيـــ   ـــدٍ مـن الشـر والأذى والآثـام
كيف ينجـو مـن الأسـى ومتـى يشْـــ   ـــفى مـن الموجعـات والآلام؟
كيـف ينجـو والطبـعُ والقـدرُ القـا   سـي يَسُـوقانِهِ إلى الأحـزان؟
يـا لَقَلْـب المسـكينِ لـيس لـه فـي   حومـة الشـرِّ والشـقاءِ يـدان
كـم أرادَ السُّـمُوَّ عـن وَهْـدة الشـر   فحالـت طباعُـهُ الآثمـاتُ
كـم أرادَ النجـاةَ مـن مِخْلـب الغـدْ   ر فعـزّت علـى مُنَـاهُ النجـاةُ
مـا الـذي رامَـهُ المسـيحُ لكـي يُجـــ   ـــزى بما كان ما الذي كان منه

أيُّها العالمُ الذي اقترف الذنـ ـبَ أما آنَ أن تكفِّرَ عنه؟

أو لم يَكْفِكَ الشقاءُ أما زلـ ـتَ مَشُوقاً إلى حياة الدماء.؟

جفَّ نبعُ الدموعِ والدمِ يا كو نُ فهلاَّ رثيتَ للأشقياء

لُذْ ببرج السماءِ من نشوةِ القَتْـ ـلِ ألا ولْيُختمْ سجلُّ الرزايا

وليكن من فقدتَ في هذه الحر بِ ختامَ الذين ماتوا ضحايا

❖❖❖

البحث عن السعادة

قد بحثنا عن السعادة لكنْ … ما عثرنا بكوخها المسحور

أبداً نسأل الليالي عنها … وهي سرُّ الدنيا ولغزُ الدهور

طالما حدّثوا فؤاديَ عنها … في ليالي طفولتي وصبايا

طالما صوّروا لعينيَّ لُقْيا … ها وألقوا أنباءها في رؤايا

فهي آناً ليست سوى العطرِ والألـ … ـوانِ والأغنياتِ والأضواءِ

ليست تحيا إلاَّ على باب قَصْر … شيّد أيدي الغِنَى والرخاءِ

وهي آناً في الصوم عن مُتَع الدنـ … ـيا وعند الزّهّاد والرهبان

ليس تحيا إلاَّ على صَخر المعـ … ـبدِ بين الدُّعَاء والإيمان

وهي حيناً في الإثمِ والمُتَعِ الدُنْـ … ـيا وفي الشَّرِّ والأذَى والخصامِ

ليس تصفو إلاَّ لقلب دنيءٍ … لائذٌ بالشرور والآثامِ

وهي في شَرْع بعضهم عندَ راعٍ … يصرفُ العُمْرَ في سفوحِ الجبالِ

يتغنَّى مع القطيع إذا شا … «عدنان» ويغفو تحت الشّذَى والظلالِ

وهي في شرع آخرينَ ابنة العُزْ … لةِ والفنّ والجمال الرفيع

ليس تحيا إلاَّ على فم غرّيـ … ـدٍ يُغني أو شاعر مَطبْوعِ

وهي حيناً في الحبّ يُلْهِمها سَهـ … ـمُ كيوبيدَ قلبَ كل محبّ

ليس تحيا إلاَّ على شفة العا … شقِ يشدو حياتَهُ لحنَ حبِّ

حَدَّثوني عنها كثيراً ولكن … لم أجدْها وقد بحثتُ طويلا

لم أزَلْ أصرفُ الليالي بحثا … وأغني بها الوجودَ الجميلا

مرَّ عُمْرِي سُدىً وما زلت أمشي … فوقَ هذي الشواطئِ المحزونه

لم أجد في الرمالِ إلاَّ بقايا الـ ـشوكِ! يا للأمنيةِ المغبونه

أينَ أصدافُكَ اللوامعُ يا شطُّ إذَنْ أينَ كنزُكَ الموعودُ؟

هاتِهِ رحمةً بنا، هاتِ كنزا هو ما يَرْتجيهِ هذا الوجودُ

هاتِهِ حسبُ رملِكَ الباردِ القا سي خداعاً لنا وحسبُكَ هُزْءا

يا لَحُلْمٍ نزيدُ منه اقترابا وهو ما زال أيُّها الشطُّ ينأى

لم تَعُدْ قصّةُ السعادةِ تغريـ ـني فدعني يا شاطئَ الآهاتِ

عبثاً أرتجي العثور على الكنـ ـز فلا شيءَ غيرُ صمتِ الحياةِ

أين من هذي الحياة ابتساما تُ الأماني ونشوةُ الأفراحِ؟

كيف يحيا فيها السعيدُ وليستْ غير بحرٍ تحتَ الدُّجَى والرياحَ

طالَ بحثي يا ربِّ أين ترى ذا ك السعيدُ الجذلانُ أين تراهُ؟

ليس حولي إلاّ دياجيرُ كونٍ ليس يَفْنَى بكاؤه وأساهُ

كل يوم مَيْتٌ يسير به الأحـ ـياءُ باكين نحوَ دُنْيا الظلام

يال أسطورة الخلود فما الخا لدُ غير القبور والآلام

يا دويَّ النُّوَاح في الأرض أيّا ن يكفُّ الباكونَ والصارخونا؟

ومتى ينتهي الشقاءُ متى يَرْ تاحُ كونٌ ذاق العذاب قرونا

عالمٌ كلٌّ من على وجهه يَشْـ ـقى ويقضي الأيامَ حزناً ويأسا

جرّعتْهُ السنين حنظلَها المرَّ فعاف الحياةَ عيناً ونفسا

إيهِ أسطورة السعادة هاتي حدّثيني عن سرك المنشود

أينَ ألقاكِ؟ أين مسكنُكِ المر موقُ ؟ في الأُفق أم وراءَ الوجودِ؟

سرتُ وحدي تحت النجوم طويلا أسألُ الليلَ والدياجيرَ عنكِ

أسفاً لم أجدْك في الشاطئ الصخـ ـريِّ حيثُ المياهُ تفتأُ تبكي

حيثُ تبقى الأشواكُ والورد يذْوي　　تحت عينِ الأيّامِ والأقدارِ

حيثُ يفنى الصفاءُ والليلُ يأتي　　بجنونِ الأنواءِ والأعصارِ

حيثُ تقضي الأغنامُ أيّامها غَرْ　　ثى ولا عُشبَ في جديب المراعي

أبداً تتبعُ السرابَ وتشكو　　بُخْلَ دهرٍ مزّيفٍ خدّاعِ

حيث يحيا الغرابُ والبلبل المو　　هوبُ في عشِّهِ المضفور

ويغنّي البومُ البغيضُ على الدَّوْ　　حِ وَيثْوي القمريُّ بين الصخور

حيث تبقى الغيومُ في الجوّ رمزا　　لحياةٍ سوادُها ليس يَفْنى

حيث تبقى الرياحُ تصفر لحنا　　هو سخريّة المقادرِ منّا

حيثُ صوتُ الحياةِ يهتفُ بالأحيـ　　ـاءِ : ماذا تحتَ الدُّجى تبتغونا ؟

انظروا كلُّ ما على الأرضِ يبكي　　فأفيقوا يا معشر الحالمينا



القصر والكوخ

كلَّ فجرٍ أرى الرعاةَ يمرو　　نَ فأبكي على حياة الرُّعاةِ

في ثلوجِ الجبالِ أو لهب الشمـ　　ـسِ يُريقون مبهجات الحياةِ

ويمرُّ القطيعُ بي فأرى الأغـ　　ـنامَ بين الذبَّاح والسكّينِ

يا حياةَ الإنسانِ لا فرحَةٌ فيـ　　ـكِ إذا لم تُصحب بدمعِ غبينِ

فكنوز الغنيّ يجمعها الفلاّ　　حُ في عُمْره الشّقي الكسير

كلَّ صيفٍ يسقي البساتين تحت الشـ　　ـمسِ والقصرُ هاجعٌ وَسْنانُ

فهو يُلقي البذورَ والمترف الها　　نئُ يجني وتشهدُ الأحزانُ

يا ليالي الحصادِ ماذا وراء الـ　　حقلِ والحاصدينَ من مأساةِ

شهد الكوخُ أنَّهُ يحمل الحز　　ن لتحظَى القصورُ بالخيرات

كيف يجني الأزهارَ والقمحَ والأثـ　　ـمارَ من لم يجرح يَدَيْهِ القَدُّومُ؟

ويموتُ الفلاّحُ جوعاً ليفترَّ　　لعيني ربِّ القصورِ النعيمُ

كيف هذا يا ربّ رفقاً بنا رفـ　　ـقاً فقد غَصَّتِ الكؤوسُ دموعا

وطغت في القضاء آهاتُنا الحيـ　　ـرى تغني رجاءنا المصروعا

❖❖❖

أسطورة نهر النسيان

مِخْلَـبُ الخـوفِ والتشـاؤم قـد جـرَّ   حَ أيّامنـــا وأدْمَـــى صِـــبانا

ليـتَ نَهْـرَ النسـيانِ لم يـكُ وهمـا   صـــوّرَتْهُ أحلامُنـــا لأســـانا

ليتَـهُ كـانَ ليـتَ أخبـارَهُ حـقٌّ   لننسـى مـا كـان أو مـا يكـونُ

ونعـيشُ الأحـرارَ مـن قيـدِ بلـوا   نـا ويعفـو عنـا الغـدُ المجنـونُ

يـا ضـفافَ النسـيان قـد جـاءك الشـا   عـرُ فلترحمـي جـراحَ أسـاه

انضَـحيهِ بمائـك الأسـودِ البـا   ردِ ولتُشْـفقي علـى بلـواهُ

فهـو ذاكَ القلـبُ الـذي طوَّقتْـهُ   حادثَـاتُ السـنين بالأشـواك

منحتْـهُ الحـسَّ الرهيـفَ وقالـت: لـتكن فـي الحيـاةِ أوَّلَ بـاكِ

يـا ضـفاف النسـيانِ يـا ليتَ هـذا الـ   مـوجَ يَطْغَـى علـى الوجـودِ الحـزينِ

يغسـلُ الإثـمَ والـدموعَ ويأسـو   كـلَّ جـراحٍ فـي قلبـهِ المطعـونِ

ألم العـيش يـا ضـفافُ قـويٌّ   وشـقاءُ المـاتِ أقـوى وأقسَـى

فـي ظـلام الحيـاةِ نضـطربُ الآ   ن ونفنـى عمـا قليـلٍ ونُنْسَـى

كـلُّ عُمْـرٍ قصـيدةٌ كتبتهـا   في كتـاب الحيـاةِ كـفُّ الزمـان

وغـداً يُمحـى الكتـابُ جميعـا   وتـذوبُ الحـروفُ فـي الأكفـان



مرثية للإنسان

أيُّ غـبْنٍ أن يـذبلَ الكـائنُ الحـيُّ ويـذوي شـبابُهُ الفَيْنـانُ
ثـمَّ يمضـي بـه محبُّـوهُ جثمـا نـاً جَفَتْـهُ الآمـالُ والألحـانُ
وينيمونَـهُ علـى الشـوك والصخـ ـرِ تحـتَ الـترابِ والأحجـارِ
ويعـودونَ تـاركينَ بقايـا هُ لـدنيا خفيّـة الأسـرارِ
هـو والوحـدةُ المريـرةُ والظُّلْـ ـمةُ فـي قـبره المخيـفِ الرهيـبِ
تحت حكم الديانِ والشوك والرَّمْـ ـلِ وأيـدي الفَنـاء والتعـذيب
وهو من كان أمسِ يضحَكُ جذلا نَ ويشـدو مـع النسـيمِ البليـل
يجمـعُ الزهـرَ كـلَّ يـومٍ ويلـهو عنـد شـطِّ الغـديرِ بـين النخيـلِ
ذلـك الميّـتُ الـذي حملـوهُ جُثّـةً لا تُحِـسُّ نحـو القبـور
كان قلبـاً بـالأمسِ تملـؤه الرغبـ ـةُ والشـوقُ بـين عطـرِ الزهـورِ
كـان قلبـاً لـه طمـوحٌ فمـاذا تَـرَكَ المـوتُ مـن طمـوح الحيـاة
يـا لحـزنِ المسـكينِ لم تبـقَ أحـلا م سـوى ظُلمـةِ البلـى والممـاتِ
آهِ يـا حامليـهِ نحـو سـكون الـ ـقبرِ لا تُسـرعوا وسـيروا الهوَيْنـا
اتركـوه يـودّع العـالمَ الفـا تـنَ قبـلَ الرحيـل ظلمـاً وغُبنـا
واكشفوا جسمَهُ الغبينِ لضوء الشـ ـمس والعطـر فهـي آخِـرُ مـرّه
لـن يـرى بعـدُ ذلـكَ الضـوءَ لـن ينـ ـشقُ فـي سجن قـبرهِ عِطْـرَ زهـرَه
لا تنوحـوا عليـه ولـيكن الشَّـدْ وُ ختامـاً لمـا وَعَـتْ أُذُنـاهُ
حسـبهُ أنَّـهُ يـودّع دنيـا هُ إلى قـبرهِ وتفنـى مُنَـاهُ
فـاتركوا نعشَـهُ علـى الأرضِ حينـا قبـل أن تقـبروهُ تحـت اللحـودِ

ربما كان خائفاً من دُجَى القبـ ـر حريصاً على جمالِ الوجودِ

ربما كان راغباً في وَدَاعِ الـ أرضِ من قبلِ أن يسودَ الظلامُ

قبلَ أن تتركوهُ في وحشةِ المو تِ وتخبو العطورُ والأنغامُ

اتركوهُ يراكمُ أنتمُ يا من دفعتُمْ به إلى الظلماء

وهو كان من أمسِ ملءَ أمانيـ ـكم فصار الغداةَ ملءَ الفناءِ

هكذا الآدميُّ يسْلمُهُ أحـ ـبابُهُ للتراب والديدانِ

ربِّ لا كانت الحياةُ ولا كنّـ ـنا هبطنا هذا الوجودَ الفاني

فيمَ جئنا هنا؟ وماذا يعزّيـ ـنا عن العالم الذي فقدنا

ليتَ حوّاءَ لم تذُقْ ثَمَرَ الدو حةِ ليتَ الشيطان لم يتجنّا

علَّمَتْنا ثمارُها فكرةَ الشرِّ فكان الحزنُ العميقُ العاصِرْ

وفهمنا معنى الفناء وأدركـ ـنا صراعَ البقاءِ تحتَ الدياجرْ

وهبطنا هذا الوجودَ لنشقى منذ فجرِ الحياةِ حتى المغيب

كلّنا نستغيثُ من شجن العيـ ـشِ فيا للَّيلِ الحزينِ الرهيبِ

يا لَظلم الأحزان ما سَلِمَ الأطـ ـفالُ من أسرِها ولا الشبَّان

كم وليدٍ يبكي وما تعلَم الأمّ لماذا يبكي وما الأحزانُ



أنشودة الرياح

أيهـــا السّـــــادرونْ ... مـــا الـــذي تَنْشُـــدون؟
مـــلء هـــذا المـــدى ... فـــي الـــدُّجى حـــالمونْ
كـــم رَسَـــمْتم منـــىً ... أطفأتْهـــا القـــرون
وأغـــــــــانيكمو ... كـم طواهـا السـكون

❖ ❖ ❖

تـــــذرعون الـــــذُّرا ... تقطعـــونَ القِفـــارْ
تحـــت سمـــع الـــدُّجى ... وعيـــون النهـــارْ
تُطْعمـــونَ الـــرؤى ... بالـــدموع الغـــرار
إنَّ دونَ المُنَـــــــى ... ألـــفَ ألـــفِ سِـــتارْ
وأمـــــــــانيكمو ... طيـــفُ حـــبٍّ نَفُـــورْ
أتظنّونهـــــــــا ... فـــي زوايـــا القصـــور؟
دونكُـــمْ فـــابحثوا ... فـــي حريـــر السُّـــتور
وأنـــا للمـــــدى ... كـــلُّ عُمْـــري مـــرور



مرثية غريق

أيُّها النَّهرُ لقد جاء المساءُ

ومشى الصمتُ على الموج الوديعْ

وخبا في الأفقِ الحالي الضياءُ

وتلاشى وقْعُ أقدامِ القطيعْ

سكن الكونُ سوى الموجِ المدَّوي

بأساطير العصورِ الخالياتْ

لَمْ يَزَلْ يشكو المقاديرَ ويَروي

أبداً للكونِ أسرارَ الحياة

إيهِ يا ضِفَّةُ ما ذاكَ الخيالُ؟

فوق صدْرِ الموج؟ تحت الظُّلماتِ

أإلهٌ قد تصبَّاه الجمالُ؟

أم غريقٌ عزَّهُ حَبْلُ النجاةِ؟

حدّثيني، ما أرى خلفَ السِّياجِ؟

فهو يا ضِفّةُ في الليلِ مُريب

ما الذي ألمح في هذي الدياجي؟

ما تراهُ ذلك الشيءُ الغريبُ؟

هيكلٌ يغطُسُ حيناً ثمَّ يطفو

تائهاً تحتَ دُجَى الليل الحزينْ

بَشَرٌ هذا ترى؟ أم هو طيفُ

ليتَ شِعري، يا دياجي، ما يكونْ؟

آهِ يا شاعرتي، هذا غريق

فاحزني للجَسَدِ البالي الممزَّقِ

راقداً، تحتَ الدياجي، لا يُفيقُ
والسَّنا من حَوْلِهِ جَفْنٌ مؤرَّقْ
يا لَميْتٍ لم يودِّعْهُ قريبُ
فهوفي النهرِ وحيدٌ مُتْعَبُ
ما بكى مَصْرَعَهُ إلاَّ غريبُ
هو قلبي، ذلكَ المكتئبُ
يا رياحَ الليلِ رِفْقاً بالرُّفاتِ
واهدئي، لا تُقْلقي جسْمَ الغريقِ
حسبُهُ ما مزَّقتْ أيدي الحياةِ
فليكُنْ منكِ له قلبُ صديقِ
ولْتكنُ، يا نهرُ، أمواجُكَ حضنا
يتلقّاهُ وقلباً مُشْفِقا
ولْتكنْ ، يا نجمُ، أضواءُكَ عَيْنا
تسكُبُ الدمْعَ على من غرِقا
آه يا قيثارتي، أيُّ المآسي!
قد كرِهْتُ الليل أضواءً وظلاّ
أيُّها الصيَّادُ، قِفْ! أَلْقِ المراسي
إنَّ تحتَ الليلِ جسْماً مُضْمَحِلاّ
هو ذا، يا أيُّها الصيّادُ، جسْما
خامد الأنفاسِ، في حضْنِ المياهْ
وعُيوناً مُلِئتْ رُعْباً وهما
لم يَزَلْ يملؤها حُبُّ الحياه
أيُّها الصياد قفْ بالزورق،
وانتَشِلْ هذا الغريقَ البائسا

خُذْهُ للشّاطئ وادفِنْ ما بَقِي

منه في القريةِ وارجعْ يائسا

ما الذي تصطادُ في بحرِ الزَّمَنْ

وغداً يصطادُكَ الدهرُ العتيُّ

نحن يا صيادُ أبناءُ الشَّجَنْ

حفَّ مَحْيانا الشقاءُ الأبديُّ

كلَّ يومٍ بين أيدينا غريقُ

وغداً نحنُ جميعاً مُغْرَقونا

عالَمٌ حفَّ به الموتُ المُحيقُ

وتباكى في حِمَاهُ البائسونا

ضاقَ يا صيّادُ في عيني الوجود

يا لكوْنٍ سِرُّهُ لا يَنْجلي

كلُّ ما فيه إلى القبرِ يقودُ

ما الذي يبقى لنا من أملِ؟



عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ، يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أُنْظُرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُّحوبِ
جاءَ يَسعى تحتَ أستارِكَ، كالطيف الغريبِ
حاملاً في كفِّه العودَ يُغنّي للغُيوبِ
ليس يَعْنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ
هو، يا ليلُ ، فتاةٌ شهِدَ الوادي سُراها
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقت مُقْلتاها
ومضت تستقبلُ الوادي بألحان أساها
ليتَ آفاقَكَ تدري ما تُغَنّي شَفَتاها
آهِ يا ليلُ ويا ليتَكَ تدري ما مُناها
جَنَّها الليلُ فأغرتها الدَّيَاجي والسكونُ
وتَصَبَّاها جمالُ الصمتِ، والصمت فُتُونُ
فنَضَتْ بُرْدَ نهارٍ لفَّ مَسْراهُ الحنينُ
وسَرَتْ طيفاً حزيناً فإذا الكونُ حزينُ
فمن العودِ نشيجٌ ومن الليلِ أنينُ
إيهِ يا عاشقةَ الليلِ وواديهِ الأَغَنِّ
هو ذا الليلُ صَدَى وحيٍ ورؤيا متمنِّ
تَضْحكُ الدُّنيا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْنِ
فخُذي العودَ عن العُشْبِ وضُمّيه وغنّي
وصِفي ما في المساءِ الحُلْوِ من سِحْرٍ وَفنِّ
ما الذي ، شاعرةَ الحيْرةِ ، يُغري بالسماء؟
أهي أحلامُ الصَّبايا أم خيالُ الشعراءِ؟

أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاءِ؟

أم ترى الآفاقُ تَسْتهويكِ أم سِحْرُ الضياءِ؟

عجباً شاعرةَ الصمْتِ وقيثارَ المساءِ

طيفُك الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ

لم يَزَلْ يَسْرِي خيالاً لَفَّهُ الليلُ العريضُ

فهو يا عاشقةَ الظُّلْمة أسرارٌ تفيضُ

آه يا شاعرتي لن يُرْحَمَ القلبُ المهيضُ

فارجعي لا تسْألي البَرق فما يدري الوميضُ

عَجَباً ، شاعرةَ الحَيْرةِ، ما سرُّ الذُّهُولِ؟

مُسْنَدَ الرأسِ إلى الكفّينِ في الظلِّ الظليلِ

مُغْرِقاً في الفكرِ والأحزانِ والصمتِ الطويلِ

ذاهلاً عن فتنةِ الظُلْمة في الحقل الجميل

أَنْصِتي هذا صُراخُ الرعْدِ، هذي العاصفاتُ

فارجعي لن تُدْرِكي سرّاً طوتْهُ الكائناتُ

قد جَهِلْنَاهُ وضنّتْ بخفاياهُ الحياةُ

ليسَ يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ

فارحمي قلبَكِ لن تَنْطِقَ هذي الظُّلُماتُ

❖❖❖

قلب ميت

نعم، ماتَ قلبي، أينَ أحزانُ حبِّه؟

وأين أمانيهِ؟ وأينَ أغانيهِ؟

حرارتُهُ أضحت رماداً مهشَّماً

وأحلامُهُ ذابتْ على صدر ماضيهِ

هو الآن ثلجيٌّ العواطف، باردٌ

يُقضِّي مع الأشباح غُرَّ لياليه

وَيُرْعِبُهُ ذكر المماتِ وليلِهِ

فيدفِنُ نيرانَ الأسى في قوافيهِ

وكانَ له من قبلُ هيكلُ مَعْبَدٍ

يُغنّيهِ في أحلامِهِ وصَلاتِهِ

من الحبِّ والأحلامِ صاغَ رُوَاءَه

وألقى عليهِ أمنياتِ حياته

على صَدْره الشِّعْريِّ تمثال شاعرٍ

تذوبُ معاني الروح في نظراته

يَرى فيه إحساسي حياةً نقيةً

أطلَّتْ خفاياها على ظُلُماته

❖❖❖

وكان صباحٌ... واستفقتُ فلم أجد

من المعبدِ الشعريّ إلاّ رسومَهُ

تَحَطَّمَ تمثالي الجميلُ على الثرى

وألقى على قلبي النقيِّ همومَهُ

ورُحْتُ إلى حُبّي أُمزِّقُ زهرَهُ

وأنثُرُ أحلامَ الصِّبا ونجومَهُ

وينفُثُ ليلُ الحزنِ فيه سُمومَهُ

❖❖❖

وها أنا ذي عُمْري احتقارٌ وأدمعُ

وفي نفسيَ الولهى لظىً وتمرّدُ

أحنُّ إلى حُبي الجميلِ وإن يكن

أشاحَ عن التمثالِ جَفني المسهَّدُ

وماذا تبقَّى الآنَ؟ شِلْوُ حجارةٍ

تضيقُ بها نفسي، وصخرٌ ممدَّدُ

تَعَلَّقَ قلبي بالنجومِ وقلبُهُ

تمرَّغَ في الأوحالِ ، والطينُ يشهَدُ

❖❖❖

هنالكَ ، في الأمسِ البعيدِ، وليله

سأدفُنُ تِمثالي وحُبّي وأجمعي

أشيِّدُ قبراً من تمرُّد خافقي

وأسقيهِ من بُغْضي له وتَرَفّعي

أغنيِّهِ ألحانَ احتقاري وثورتي

وتهزأُ أضواءُ النجوم به معي

وأزرعُ فيه الشوكَ والسُّمَّ واللظى



خواطر مسائية

إذا زَحَفَ الليلُ فوق السهوبِ
ومرَّتْ على الأفْقِ كفُّ الغيومْ
ولم يَبْقَ غيرُ السُّكونِ الرهيبْ
ونامَ الدُّجَى تحت جُنْحِ الوجوم



ولم يبقَ إلاَّ نُوَاحُ اليمام
وهمس السواقي وأنَّاتُها
ووقْعُ خُطا عابرٍ في الظلامْ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها
جلستُ أناجي سكون المساءْ
وأرمُقُ لونَ الظلام الحزين
وأُرسلُ أغنيتي في الفضاء
وأبكي على كلِّ قلب غبينْ



أُصِيخُ إلى همساتِ اليمامْ
وأسمعُ في الليلِ وقْعَ المطرْ
وأنّاتِ قُمْريّةٍ في الظلام
تغنّي على البُعْدِ بين الشَّجَرْ



وآهاتِ طاحونةٍ ، من بعيدْ
تنوحُ المساءَ وتشكو الكَلالْ
تمرُّ على مسْمعي بالنشيدْ

وتفتأ تصدَحُ خلفَ التلالْ

أُصيخُ ولا صوتَ غيرُ الأنينْ

وأرنو ولا لونَ غيرُ الدُّجى

غيومٌ وصمتٌ وليلٌ حزين

فلا عَجَبٌ أن أُحِسَّ الشَّجَا



رأيتُ الحياةَ كهذا المساءْ

ظلامٌ ووحشةُ جوٍّ كئيبْ

ويحلُمُ أبناؤُها بالضياءْ

وهم تحت ليل عميقٍ رهيبْ

❖❖❖

طبيعتُها أبداً باكيه

فصمتُ الدُّجى وأنينُ الرياح

وتنهيدةُ النَّسَمِ السَّاريه

ودمع الندى في عيون الصباح

وأبصرتُ عند ضفاف الشقاءْ

جموعَ الحزَانى ورَكْبَ الجياعْ

تُشردهُمْ صرخاتُ القضاءْ

وما أرسلوا همساتِ الوداعْ

❖❖❖

وأصغيتُ لكن سمعتُ النشيجْ

يُدوّي صداهُ على مَسمعي

وراءَ القصورِ وفوقَ المروجْ

فمن يا ترى يتغنَّى معي؟

سأحملُ قيثارتي في غد

وأبكي على شَجَن العالمِ

وأرثي لطالِعهِ الأنكدِ

على مسمع الزمن الظالمِ



عندما انبعث الماضي

أمسِ في الليل وكانت صورُ الأسرار شتّى
تتصبّى حاضري الغافي وكان الأمسُ مَيْتا
خِلْتُني كفّنتُهُ ذات مساء
وتحصّنتُ بدعوى كبريائي
سمعتْ روحيَ في إغفاءَةِ الظّلمة صوتا
لم يكن حُلْماً خُرَافيّاً في السُّتورِ
بعثتْهُ رغبةٌ خلفَ شعوري
كان شيئاً، كان في صمت الدُّجى صوتَكَ أنتا
ذلك الصوتُ الذي يعرِفُهُ سمعي مليّا
صوتُ ماضيَّ الذي ماتَ وما خلّفَ شيّا
غير أشتاتِ ادّكاراتٍ لحبٍّ كان حيّا
منذ أعوامٍ.. وصار الآن ذكرا
لفّها الماضي وواراها الترابَ الأبديا

❖❖❖

ذلك الصوتُ الذي مرَّ على سمعيَ أمسِ
كان يوماً رغبة تُجهشُ في أعماقِ نفسي
كان حُلْماً ذائباً في عبراتي
كان حباً تائهاً في أمنياتي
ثم حطّمتُ على ذكراهُ قيثاري وكأسي
عندما ضيعتُهُ تحت الضبابِ
تعثرتُ بأشلاءِ شبابي
وتهاويتُ على جثة أحلامي وأُنسي

ومضى عامانِ ممطوطانِ مرّا في شُحوبِ

كان عُمري خِربةً يصبغها لون الغروبِ

تذرعُ الأشباحُ في الصمتِ دُجاها

ويعيشُ البومُ في ظلِّ أساها

كلّما جالتْ بيَ الحيْرةُ في القبوِ الغريبِ

مدتِ الذكرى ذراعَيْها إليَّا

لونُها يخلقُ من رُعبيَ دنيا

ويثيرُ الوترَ الميتَ في قلبي الكئيب

وانقضى عامان ملعونانِ من أعوامِ حبي

مزَّقتْ روحيَ أظفارُهما، روحي وقلبي

لم تَدَعْ حتى شراعاً من رجاء

أبداً لم تُبْقِ إلاَّ كبريائي

وأباديدَ ادّكاراتٍ لها قسوةُ ذئبِ

عرفتْ روحيَ فيها لون أمسي

أمسيَ الراسبُ في أعماق حسي

عرفتُ فيها صدى الصوت الذي غمغم قربي

إنه الأمس إذن عاد ليحيا من جديد

إنه عاد إذن يطرقُ أبوابَ شُرودي

أسفا يا شبحي عُدْ للتراب

لم تعُدْ تملكُ أن تطرُقَ بابي

لم يعد يربطنا إلاَّ ركامٌ من حدود

هُوّةٌ أعمقُ من ذنبكَ! ماذا؟

قد تبقَّى لك عندي غيرُ هذا؟

غير ذكرى عبرتْ يوماً ومرَّت بوجودي؟

جود

فــــي ســــكون المســـاءْ فـــي ظـــلام الوجـــودْ
حـــين نـــامَ الضـــياء واعترانــــــي جُمـــــودْ
خِلْــتُ نفســـي أســـير فــــي مكـــان بعيـــدْ
فـــوق قلــــبي أثــــيرْ تحـــتَ رجلـــي قُيـــود
فــي كيــاني فتـــور فـــــي دمـــــي نَـــوْءُ
لقَّبـــــوه الشـــــعور وهـــــــو لا شـــــــيءُ
فــــي إســــار الألم روحـــــــيَ المـــــبهمْ
يـــا معـــاني العَــدَمْ آه لــــــــو أفهــــــم
فـــي ضــباب الوجـــودْ أنـــــــا كالســــــرّ
وغـــــــداً ســـــــأعود دون أن أدري
جســــدي فــــي الألم خــاطري فـــي القيـــود
بـــين همـــس العَـــدَمْ وصُـــــراح الوجــــود
وســــــكوني حيـــــاة وظلامــــــي بريــــــقْ
النجــــاةُ النجــــاةْ مــن شـعوري العميــقْ
أأنـــــا حُلْـــــــمٌ وشــــــعورٌ طَهـــــــور
أم أنـــــا جســـــمٌ مُغْـــرَقٌ فـــي الشــرور
بــــل أنــــا آفــــاق مـــن شـــعورٍ عنيـــفْ
وأنـــــا أعمـــــاقْ مـــن خِضــمٍّ مخيــفْ
المقـــــــــاييسُ لـــــيسَ تَعنـــــيني

الأحاســـــيسُ ... هــــي قـــانوني

أنـــا لا أهـــوى ... مـــا يُحـــبُّ النـــاس

فـــــإذا دوّى ... فـــي دمـــي إحســـاس

ســـــرتُ لا أُلْـــوي ... ســـرتُ خلــف الصــوت

فغــــداً يطـــــوي ... فجـــرَ عُمْـــرِي المـــوتْ

فـــي دمـــي إعصـــارْ ... عاصــــفٌ بــــالجمودْ

وشـــــظايا نـــــارْ ... تتحـــدَّى الركـــودْ

كـــلُّ قلـــبي شـــكْ ... فـــي معـــاني الخـــير

فكـــرةٌ تُضـــحِكْ ... أنـــا أهـــوى الشـــر

إن يـــكُ الجســـمُ ... مـــن تـــراب حقـــير

فانـــــا إثـــــمٌ.. ... أنـــا لســـتُ أثـــير

فأنـــــا حِـــــلٌّ ... منـــه.. يـــا للعـــارْ!

إنْ يـــكُ الإيمـــان ... هـــو هـــذا الجمـــودْ

فأنـــــا نُكـــرانْ ... أنـــا كلّـــي جُحُـــودْ

مرثية يوم تافه

لاحتِ الظلمةُ في الأفْق السحيقِ

وانتهى اليومُ الغريبُ

ومضت أصداؤه نحو كهوفِ الذكرياتِ

وغداً تمضي كما كانت حياتي

شفةٌ ظمأى وكوبُ

عكست أعماقُهُ لونَ الرحيق

وإذا ما لمستْهُ شفتايا

لم تجد من لذّةِ الذكرى بقايا

لم تجد حتى بقايا

❖❖❖

انتهى اليومُ الغريبُ

انتهى وانتحبتْ حتى الذنوبْ

وبكت حتى حماقاتي التي سميتُها

ذكرياتي

انتهى لم يبقَ في كفّي منه

غيرُ ذكرى نغم يصرُخُ في أعماق ذاتي

راثياً كفّي التي أفرغتُها

من حياتي، وادّكاراتي، ويوم من شبابي

ضاع في وادي السرابِ

في الضباب

كان يوماً من حياتي

ضائعاً ألقيتُهُ دون اضطرابِ

فوق أشلاءِ شبابي

عند تلِّ الذكريات

فوق آلافٍ من الساعات تاهت في الضباب

في متاهات الليالي الغابرات

❖❖❖

كان يوماً تافهاً، كان غريباً

أن تَدُقَّ الساعة الكَسْلى وتُحصي لحظاتي

إنَّه لم يكُ يوماً من حياتي

إنَّهُ قد كان تحقيقاً رهيبا

لبقايا لعنة الذكرى التي مزَّقتُها

هي والكأس التي حطّمتها

عند قبر الأمل الميتِ، خلف السنواتِ،

خلف ذاتي

❖❖❖

كان يوماً تافهاً.. حتى المساءِ

مرت الساعاتُ في شِبْهِ بكاءِ

كلُّها حتى المساء

عندما أيقظَ سمعي صوتُهُ

صوتُهُ الحلوُّ الذي ضيّعتُهُ

عندما أحدقتِ الظلمةُ بالأفْقِ الرهيب

وامّحتْ حتى بقايا ألمي، حتى ذنوبي

وامَّحى صوتُ حبيبي

حملت أصداءه كفُّ الغروب

لمكانٍ غابَ عن أعينِ قلبي

غابَ لم تبقَ سوى الذكرى وحبّي

وصدى يومٍ غريب

كشحوبي

عبثاً أضرعُ أن يُرجِعَ لي صوت حبيبي

❖❖❖

أنا

الليلُ يسألُ من أنا

أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ

أنا صمتُهُ المتمرّد

قَنّعت كنهي بالسكون

ولففتُ قلبي بالظنونْ

وبقيتُ ساهمةً هنا

أرنو وتسألني القرون

أنا من أكونْ؟

والريحُ تسأل من أنا؟

أنا روحُها الحيران أنكرني الزمانْ

أنا مثلها في لا مكان

نبقى نسير ولا ا نتهاءْ

نبقى نمرُّ ولا بقاءْ

فإذا بلغنا المنحنى

خلناهُ خاتمةَ الشقاءْ

فإذا فضاء!

والدهرُ يسألُ من أنا

أنا مثلهُ جبارةٌ أطوي عصور

وأعودُ أمنحُها النشورْ

أنا أخلقُ الماضي البعيدْ

من فتنة الأمل الرغيد

وأعود أدفنُهُ أنا

لأصوغَ لي أمساً جديدْ

غَدُه جليد

والذات تسألُ من أنا

أنا مثلها حيرى أحدّق في ظلام

لا شيء يمنحُني السلام

أبقى أسائل والجواب

وأظلُّ أحسبه دنا

فإذا وصلت إليه ذاب

وخاب وغاب

❖❖❖

غرباء

أَطفِئ الشمعةَ واتركنا غريبين هنا
نحن جُزءان من الليل فما معنى السنا؟
يسقطُ الضوءُ على وهمين في جَفنِ المساء
يسقطُ الضوءُ على بعض شظايا من رجاء
سُمّيتْ نحن وأدعوها أنا:
مللاً.. نحن هنا مثلُ الضياءْ
غرباء
اللقاء الباهتُ البارد كاليوم المطير
كان قتلاً لأناشيدي وقبراً لشعوري
دقت الساعة في الظلمة تسعاً ثم عشرا
وأنا من ألمي أصغي وأحصي. كنت حيرى
أسأل الساعة ما جدوى حضوري
إن نكن نقضي الأماسي، أنت أدرى،
غرباء
مرّتِ الساعاتُ كالماضي يُغشّيها الذبولُ
كالغدِ المجهول لا أدري أفجرٌ أم أصيلُ
مرّتِ الساعاتُ والصمتُ كأجواء الشتاء
خلتُهُ يخنق أنفاسي ويطغى في دمائي
خلتهُ ينبسُ في نفسي يقول
أنتما تحت أعاصير المساء
غرباء
أَطفِئ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيف

يسقطُ النورُ على وجهين في لون الخريف

أو لا تُبْصِرُ؟ عينانا ذبولٌ وبرودُ

أو لا تسمعُ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودُ

صمتنا أصداءُ إنذار مخيف

ساخرٌ من أننا سوف نعود

غرباء

نحن من جاء بنا اليومَ؟.. ومن أين بدأنا؟

لم يكنْ يَعرفُنا الأمسُ رفيقين.. فدَعنا

نظفر الذكرى كأن لم تكُ يوماً من صِبانا

بعضُ حبٍّ نزقٍ طافَ بنا ثم سلانا

آهِ لو نحنُ رَجَعنا حيث كنّا

قبلَ أن نَفنَى وما زلنا كلانا

غُرباء



الكوليرا

سكن الليل

اصغِ إلى وقعِ صدى الأنات

في عمق الظلمة ، تحت الصمت، على الأموات

صرخات تعلو، تضطربُ

حزنٌ يتدفّق، يلتهبْ

يتعثر فيه صدى الآهات

في كل فؤاد غليانُ

في الكوخ الساكن أحزانُ

في كل مكان روح تصرخ في الظلمات

في كل مكان يبكي صوتْ

هذا ما قد مزقه الموتُ

الموت، الموت، الموتْ

يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموتْ

❖❖❖

طلع الفجر

اصغِ إلى وقع خُطا الماشين

في صمت الفجر، اصغِ ، انظر ركب الباكين

عشرة أمواج، عشرونا

لا تحصِ أصخ للباكينا

اسمع صوت الطفل المسكين

موتى، موتى، ضاع العددُ

موتى، موتى، لم يبق غدُ

في كل مكان جسد يندبه محزون

لا لحظة إخلاد لا صمتْ

هذا ما فعلت كف الموتْ

الموت، الموت، الموتْ

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموتْ

❖❖❖

الكوليرا

في كهف الرعب مع الأشلاء

في صمت الأبد القاسي حيث الموت دواء

استيقظ داء الكوليرا

حقداً يتدفق موتورا

هبط الوادي المرح الوضاء

يصرخ مضطرباً مجنونا

لا يسمع صوت الباكينا

في كل مكان خلّف مخلبه أصداء

في كوخ الفلاحة في البيتْ

لا شيء سوى صرخات الموتْ

الموت، الموت، الموتْ

في شخص الكوليرا القاسي ينتقم الموتْ

الصمت مرير

لا شيء سوى رجع التكبير

حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير

الجامع مات مؤذنه

الميت من سيؤبنه

لم يبق سوى نوح وزفير

الطفل بلا أم وأبِ

يبكي من قلبٍ ملتهبِ

وغداً لا شكَ سيلقفه الداء الشرير

يا شبح الهيضة ما أبقيتْ

لا شيء سوى أحزان الموتْ

الموت، الموت، الموتْ

يا مصر شعوري مزقه ما فعل الموتْ

1947



مرثية امرأة لا قيمة لها

«صور من زقاق بغدادي»

ذهبت ولم يشحب لها خد ولم ترجف شفاه
لم تسمع الأبواب قصة موتها تروى وتروى
لم ترتفع أستار نافذة تسيل أسىً وشجوا
لتتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلاَّ بقية هيكل في الدروب ترعشه الذكر
نبأ تعثر في الدروب فلم يجد مأوى صداه
فأولى إلى النسيان في بعض الحفر
يرثى كآبتَه القمر.



والليل أسلم نفسه دون اهتمام، للصباح
وأتى الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام،
بمواء قط جائع لم تبق منه سوى عظام،
بمشاجرات البائعين، وبالمرارة والكفاح،
يتراشق الصبيان بالأحجار في عرض الطريق،
بمسارب الماء الملوث في الأزقة، بالرياح،
تلهو بأبواب السطوح بلا رفيقْ
في شبه نسيان عميقْ.

1942/7/9



الأعداء

نحن إذن أعداء

من عالم لا يفهم الأشواق

ولا يعي أغنيته الأحداق

أَعينُنا لا تفهم النجوى

الحبّ فيها سيرة تُروى

كان لها أمسُ

وضمّةُ رمسُ

من تربة البغضاءْ

نحن إذن أعداء

تفصلنا عوالمٌ شاسعة

حدودها المجهولة الضائعة

تبثُّ في دروبنا المستحيلْ

فنذرع العُمْرَ الجديبَ الطويل

بحثاً عن الباب

وحبّنا الخابي

يغري بنا الصحراء

نحن إذن أعداء

ترقد في أعماقنا الذكرى

مشلولةً، ضائعةً ، حيرى

المقتُ يلقي فوقها ظلا

والحقدُ لم يُبْقِ لها شكلا

ولعنةُ الأيام

خلّفت الأحلام

فوق الثرى أشلاء

نحن إذن أعداء

وإن تكن تجمعنا أحلام

من أمسنا أودت بها الأيام

وإن تكن خلّفت أشياءْ

في المقَل الفارغة الجدباء

في الأوجهِ الذاوية

كنجمة خابية

تغرب في الظلماء

نحن إذن أعداء

وإن طفت في دمنا الأشواق

ودبّت اليقظة في الأرماق

وبيننا عوالمٌ شتى

ندركها كما يعي الموتى

تحت التراب المهين

وقع خطا العابرين

وضجة الأحياء(*)

❖❖❖

* مجلة الآداب (العدد الأول) السنة الأولى كانون الثاني 1953.

خائفة

أرجعُ فالليلُ تثير مخاوفُهُ قَلَقي

وأنا وحدي والنجمُ بعيد في الأُفقِ

يخدعني أملٌ في فجرٍ لم ينبثقِ

وصُبَابةَ دمعٍ باردة لم تحترقِ



ومددتُ يدي فرجعتُ بحفنةِ ظلماءِ

وسألتُ الليلَ فبؤت ببضعة أصداء

أصداءٌ مغرقةٌ في سورة إغماء

جاءتْ تزحف من أغوار الماضي النائي



دربي حاولتُ سدىً أن أرفع أستارَهُ

تصخبُ في عتمتهِ أشباحٌ ثرثارة

أنكرت الدربَ كأنْ لم أعرف أحجاره

يوماً بالأمسِ ولم أستكشف أسرارَه



أرجعُ، أواه ألا تسمع صوتي الموهون

لن أبقى وحدي في هذا الدربِ المجنون

هذا الأفق المستغلق حيث النجمُ عُيون

حيث الأشجارُ هياكلُ أفكار وظنونْ



تتردد فيه أصواتٌ تُنذر حبّي

أصواتٌ غادرةٌ تنبح ملءَ الرّحبِ

صدّقني وأرجع أخشى أن تجرح قلبي

صدّقني.. إني أسمعها تملأ دربي

في المعبر سَعلاةٌ ترمُق طيفي بفتورْ

ووراءَ المفترقِ المتشعّبِ بعضَ قبورْ

خذْ بيدي ولنتركْ هذا الأفقَ المهجور

لا تتركني روحاً صارخة في الديجورْ



كَلِمات

شكوتُ إلى الريحِ وَحدةَ قلبي وطولَ انفرادي
فجاءت معطّرةً بأريجِ ليالي الحصادِ
وألقتْ عبيرَ البنفسَجِ والوردِ فوقَ سُهَادي
ومدّتْ شَذاها لخدّي الكليلِ مكانَ الوسادِ
وردّتْ حنيني بنجوى غديرٍ يُغنّي لوادِ
وقالتْ: لأجلكِ كان العبيرُ ولونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدَكِ جئتُ الوجودَ الجميلْ
ففيمَ العويل؟
وصدّقتُها ثم جاءَ المساءُ الطويلْ
وساد السكونُ عُبابُ الظلامِ الثقيلْ
فساءلتُ ليلي: أحقٌّ حديثُ الرياحْ؟
فردّ الدُّجَى ساخرَ القَسَماتْ:
«أصدقتِها؟ إنها كلماتْ»

❖❖❖

وأصغيتُ في فجْرِ عمْري إلى أغنياتِ البَشَرْ
وشاركتُهُم رَقْصَهم في شُحُوبِ ليالي القَمَرْ
وغنّيتُ مثلَهُمُ بالسعادةِ ، بالمُنْتَظَرْ
بشيءٍ سيأتي، بيوتوبيا في سنينٍ أخَرْ
وآمنتُ أنَّ حياةً بلونِ النَّدَى والزّهَرْ
ستمسَحُ أيّامنا المُثْقَلات بعبءِ الضّجرْ
وقالوا لنا في أغاريدهم إننا خالدونْ
خُلودَ القُرونْ

وصدّقتُهم ثم جاءَ المساءُ الصديقْ

يجرُّ سلاسلَهُ في جمودٍ وضيقْ

فساءَلتُهُ : أهوَ حقٌّ هُتَافُ البَشَرْ؟

فحدّقَ بي صائحاً: «يا فتاة!

أصدّقتِهِمْ؟ إنّها كلماتْ»



وكم مرّةٍ جَدَلَ العاشقون الأماني الوِضاءْ

وكم عصروا في كؤوس التخيّل شهْدَ الوفاءْ

وراحوا على حُبِّهم يُشْهِدون نجومَ السماءْ

ووقْعَ الندَى فوق خدِّ الصباح، وصمْتِ المساءْ

وكم أقسموا بالهوى أنّهم أبداً أوفياءْ

وأنَّ الوجودَ يموتُ وحبُّهُمُ للبقاءْ

وقالوا: هوىً واحدٌ خالدٌ يتحدَّى العَدَمْ

ويَرْضى الألمْ

❖❖❖

وصدّقتُهم ثم جاءَ المساءُ اللطيفْ

هنالكَ ذاتُ دُجىً من أماسي الخريفْ

وساءلتُهُ أهْيَ حقٌّ رؤى العاشقين؟

فغمغمَ مستهزئَ النبراتْ

أصدّقتِهِم ؟ إنّها كلماتْ..»

1952/5/27

❖❖❖

دعوة إلى الحياة

اغضبْ، أحبّكَ غاضباً متمرّدا

في ثورةٍ مشبوبة وتمزّقِ

أبغضتُ نوم النار فيك فكن لظىً

كن عَوق شوقٍ صارخ متحرّق

❖❖❖

اغضبْ، تكاد تموت روحُك ، لا تكن

صمتاً أضيّع، عندَهُ إعصاري

حسبي رمادُ الناس، كنت أنت اللظى

كن حُرْقة الإبداع في أشعاري

اغضبْ، كفاك وداعة. أنا لا أحبّ الوادعين

النار شرعي لا الجمود ولا مهادنة السنين

إني ضجرتُ من الوقارِ ووجهه الجهْم الرصين

وصرخت لا كان الرّماد وعاش عاش لَظى الحنين

اغضبْ على الصمت المُهين،

أنا لا أحبُّ الساكنينْ

❖❖❖

إني أحبّك نابضاً، متحركاً،

كالطفلِ ، كالريحِ العنيفةِ كالقدرْ

عطشانَ للمجد العظيم فلا شذىً

يُرْوى رؤاك الظامئات ولا زهَرْ

الصبرُ؟ تلك فضيلة الأموات، في

برد المقابر تحتَ حكم الدود

رقدوا وأُعطينا الحياة حرارةً

نشوى وحُرقْة أعين وخدودِ

❖❖❖

أنا لا أحبُّك واعظاً بل شاعراً قلق النشيدْ

تشدو ولو عطشانَ دامي الحلْق محترقَ الوريد

إني أحبُّك صرخة الأعصار في الأفق المديدْ

وفماً تصبَّاه اللهيب فبات يحتقر الجليدْ

❖❖❖

أين التحرّق والحنين؟

أنا لا أطيق الراكدين

❖❖❖

قطّبْ، سئمتُكَ ضاحكاً، إن الرُّبا

بردٌ ودفءٌ لا ربيع خالدٌ

العبقريةُ، يا فتايَ، كئيبةٌ

والضاحكون رواسبٌ وزوائدُ

❖❖❖

إني أحبّك غُصَّةً لا ترتوي

يَفنى الوجودُ وأنتَ روح عاصفُ

ضحِكٌ جنونيٌّ ودمْعٌ محرِق

وهدوء قدّيسٍ وحسٌّ جارفٌ

❖❖❖

إني أحبُّ تعطشَ البركان فيك إلى انفجارْ

وتشوّق الليل العميق إلى ملاقاة النهار

وتحرُّق النبع السخيّ إلى معانقة الجرار

إني أريدك نهرَ نارٍ ما لِلُجَّتهِ قرار

❖❖❖

فاغضب على الموت اللعينْ

إني مَللتُ الميّتين

❖❖❖

السّلّم المنهار

استرَحْنا، كُشفَ اللُّغْزُ وماتَ المُبْهَمُ
وتلاشت حُرقةُ الأحلامِ في لونِ العيونْ
استَرحْنا ، هدأ الشّوقُ وواراهُ السّكونْ
استَرحْنا نحنُ، وارتاحَ الزمانُ النَّهِمُ
وغداً ينهزمُ الماضي بعيدا
وترى أعينُنا شيئاً جديدا

❖❖❖

الشفاهُ الزُّرْقُ في أوجهنا الآنَ ستصفو
من جديدٍ، فلقد ذابَ الهَوى عندَ الشروقِ
والعيونُ المُثْقلاتُ الصمْتِ بالسُّهْدِ العميقِ
ستنامُ الآنَ لا يوقظُها حبٌّ وعُنْفُ
وغداً يعرِفُ قلبانا بأنّا
قد دفنّا الحبَّ حيّاً وانتهينا

❖❖❖

والعُروقُ المُلْهَباتُ الدمِ قد حانَ كَرَاها
حسبْهُا ما جلجل الإعصارُ في أعماقها،
وزهورُ الحُلْمِ لا تسكُبُ على أوراقها
أيَّ لونٍ، إنها ماتت ولن يحيَا شذاها
هدأ القلبانِ، لا تخشَ ارتعاشا
مات عِرْقُ الحبّ فينا وتلاشى

❖❖❖

وأفَقْنا وانتهى الشيءُ الذي خِلْناهُ حبّا

وتبقّتْ حولنا الذكرى التي تَسْخَرُ منّا،

من خيالاتِ صغيرَيْنِ بدا نجْمٌ فظنَّا

أنَّ في وسعهما أن يُمسكاهُ فاشرأبّا

لحظةً... ثم تهاوَى السُلَّمُ،

في بُرُودٍ... وتلاشَى الحُلُم..



سِرْ يميناً أنتَ واتركْني أسِرْ وحدي شمالا

فمن المُضْحِكِ أن نبقى هنا كالغُربَاءِ،

تصرُخُ الوَحْدةُ في أعيننا دونَ انتهاءٍ

ويرُشُّ الصمتُ لُقيْانا بُرُوُداً ومَلالا

حسبُنا أنّا أَضَعْنا ما أضعنا

من زمان فلنَعُدْ من حيث جئنا



أغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما

برّاق الحلوُ اللثغةِ يَنْوِي النوما

والنومُ وراءَ الربوةِ هيّأ حُلْما

والحلمُ له أجنحةٌ ترقى النَّجْما

والنجمُ له شَفَةٌ ويُحبُّ اللثما

واللثم سيوقظُ طفلي:

ماما ماما



بابا بابا بابا بابا

برّاق الغافي الساهي يسرِقُ قلبا

والقلبُ سيُمرِغُ يُنبتُ ورداً رَطْبا

والوردُ يَرُشّ المهدَ أريجاً عَذْبا

وأريجُ الوردِ لعوبٌ يهوى الوثبا

والوثبُ سيوقِظُ طفلي:

بابا بابا



دادا دادا دادا دادا

الحقلُ مَشوقٌ للخُضْرةِ لا يهدا

والخضرة خاويةٌ لا تملك وردا

والوردُ إلى الحمرةِ مرتعشٌ وجدا

والحمرةُ عند صغيري ثغراً خَدّا

وسيُصحي الوردُ صغيري:

دادا دادا(*)



* (ماما) تقرأ هكذا: «مَمَّا» كما ينطقها الطفل العراقي وبذلك تجانس القوافي التالية. وكذلك (بابا) و(دادا)

غسلاً للعَار

«أمّاه!» وحَشْرجةٌ ودموعٌ وسَوَادُ،
وانبجسَ الدمُ واختلجَ الجسمُ المطعونُ
والشَّعْرُ المتموّجُ عشّشَ فيه الطينُ
«أمّاه!» ولم يسمَعْها إلاَّ الجلاّدُ
وغداً سيجيءُ الفجْرُ وتصحو الأورادُ
والعشرونَ تُنادي والأمَلُ ا لمفتونُ
فتُجيبُ المَرْجةُ والأزهارْ
رحلتْ عنا... غسلاً للعارْ

❖❖❖

ويعودُ الجلاّدُ الوحشيُّ ويَلْقَى الناسْ
«العارُ؟» ويَمسَحُ مُدْيَتَهُ «مزَّقْنا العارْ»
«ورَجَعْنا فُضَلاءً، بيضَ السُمْعةِ أحرارْ»
«ياربَّ الحانةِ، أينَ الخمرُ؟ وأينَ الكأسْ؟»
«نادِ الغانيةَ الكسْلَى العاطرةَ الأنفاسْ»
«أفدي عينَيها بالقُرآنِ وبالأقدارْ»
املأ كاساتِكَ يا جزّارْ
وعلى المقتولةِ غسْلُ العارْ

❖❖❖

وسيأتي الفجرُ وتسألُ عنها الفتياتُ
«أينَ تَراها؟» فيرُدُّ الوحشُ «قتلناها»
« وصمةُ عارٍ في جبهتنا وغسلناها»
وستحكي قصتَها السوداءَ الجاراتُ،

وستَرْويها في الحارةِ حتّى النَّخَلاتُ،

حتّى الأبوابُ الخشبيّةُ لن تَنْساها

وستهمِسُها حتّى الأحجارْ

غسلاً للعارْ..

غسلاً للعارْ..



«يا جاراتِ الحارةِ، يا فَتَياتِ القرية»

«الخبزُ سنعجنُهُ بدموعِ مآقينا»

«سنَقُصُّ جدائلَنا وسنَسْلَخُ أيدينا»

«لتظلَّ ثيابُهُمُ بيضَ اللونِ نقيّة»

«لا بسمةَ، لا فرحةَ، لا لفتةَ فالمُدْية»

«تَرْقُبُنا في قبضة والدنا وأخينا»

«وغداً من يدري في أيِّ قِفارْ»

«ستُوارينا غسلاً للعار؟»



القنيطرة

قال القمر:

حبيبتي قد رجعتْ من السفر

حبيبتي القنيطرة

صفحةُ مرآةِ دمٍ مكسَّرَة

وفي قعرِها رسومٌ قتلى عرب مبعثرة

في عُمقِها تَدمى وتقطرُ الصور

❖❖❖

قال القمر..

حبيبتي قد وصلتْ عائدةً من السفر

أرخيتُ فوق كتفها جدائلي.. فأجفلتْ

لثمت مجرى دَمِها.. تلوَّثْت ذَبُلَتْ

حبيبتي قد قُتِلَتْ.. قد قُتِلَتْ

مطعونةً تحتَ مساقِطِ النظرْ

ومن سماء مُقلَتَيها يتناثر المطر

وفي الصخور والدوالي والتعاريش

دماءٌ وجنائزٌ أُخَر

❖❖❖

حبيبتي القنيطرة

راجعة من السفر

أُرجوحةً للموتِ والريحِ ووجهَ مجزرة

وفي مواني مُقلَتيها سُفنٌ غاربَةَ مُحتضرَة

حبيبتي ترفُضُ أن ألثُمَهَا

أطلبُ من غمّازَتيها المغفرة

❖❖❖

قال القمر:

حبيبتي بعدَ سنين غُربةٍ قد رَجَعَتْ من السَّفَر

عائدةً من رحلةٍ في قعرِ آلاف المرايا الماحية

راجعةً من المتاهاتِ ومن أرض الرياح العاوية

حيثُ تقاطعُ الخطوط الدامية

وحيثُ يَمَّحي كيانُ المنحنى

يضيعُ وجهُ الزاوية

مَمْحوَّةٌ حبيبتي خُطُوطُها

ضائعةٌ خَلْفَ الفراغِ والضبابِ والرؤى شُقُوقُها

معكوسةٌ صورتُها على العيون المجديات الخاوية

وَهْمِيَّةٌ حتى ورودُ شَعْرِها

وهميّةٌ أمشاطُها

وهميّةٌ قروطُها

أكذوبةُ المِرآةِ في مُقْلَتِها الولهى

وعُقْمُ الهاوية

مصلوبةٌ حبيبتي على جذوع السنوات العارية

❖❖❖

قال القمر:

ووجهُهُ الحزينُ رعشةٌ وظِلٌّ في نهرْ

مسبيَّةٌ حبيبتي مخنوقةٌ مهدّمة

خدودُها شاحبةٌ يجرحُها حتى مرورُ الكلمة

أذْرُعُها حقائبٌ خاوية

راح بما فيها اللصوص القتلة

لم تبقَ من فِضَّتها لُؤلئِها إلاَّ جلودٌ رثّةٌ مهلهلة

سيُورُها مُثلَّمَة

أقفالُها تدمى تصيحُ الريحُ فيها

يَغرِسُ الخرابُ فيها أنمُلَهْ

❖❖❖

حبيبتي مدينةٌ أكتافُها مهشّمة

أسوارُها مقتحمة

قِبابُها نارُ جراحٍ مُشْعَلَة

أشجارُها منزوعةً الورق

فارغة الحدَقْ

أهدابها مُكحَّلَة

تُسِيلُ من فاكهةِ الدماءِ والحُمى أصولاً مُثقلَة

ولم تذُق حبيبتي منذ سنين وشوشات سُنبلَة

كلا ولم تلثم دواليها سوى أنيابِ صاروخ وحقدِ قُنبلة

❖❖❖

مرميةٌ حبيبتي القنيطرة

على مسامير سريرٍ خَرِبٍ مُشتعل الغِطاء

مروجها مقابر الغناء

صيّرها حِقدُ اليهودِ غابةً من مِزَقٍ، حرائق، أشلاء

لكنّما جِراحُها مُعطَّرة

يَطْلُعُ منها قمرٌ مقاتلْ

تخفقُ فيها رايةٌ مُنتَصِرَة

من أجلها دماءُ سوريا خوابي عسلٍ مُقَطَّرَة

قنيطرة.. قنيطرة..

سَلِمْتِ يا حبيبة الجولان

وعشتِ يا غدائرَ النجوم،

يا مراتعَ القُطعانْ

يا نهر كهرمانْ

يا صلواتِ المغفِرة

يا خَرزتي مَسبحةٍ مقطوعةٍ

يا آيةً مبتورةً في شفتي مُرَتّل القرآن

حُمرَةُ خديكِ ستسقيها الأيادي الخيّرة

ومن جديدٍ سوف تعلو، تشمخ الجدران

وتلثغُ الغُدرانْ

ثانيةً، تنتفضُ الجوامعُ المدمّرة

ويصعدُ الأذان:

قنيطرة.. قنيطرة..

شُبّاك سوريا على بيدرِنا المسروقْ

على تلالِ الشعرِ، والظِّلالَ ، والسُّكّرِ ، والشروقْ

على انطباع خُطوَةِ المسيح فوق قنطرة

تحتضنُ الأردنَ والبيّارةَ الحزينةَ المنكسِرَة



قُنيطِرَة

لتنْبُتِ الأنيابُ في فكّيكِ،

ولتَطلُعْ قرونٌ فَظَّةٌ موتّرَة

وهيئي مخالباً ومَقبرة

تصطاد «إسرائيل»

إنّ الغدَ نُسْغٌ صاعدٌ في شجرة

وبَرْدُ ينبوعٍ، وشمعٌ، وشبابيكُ عيونٍ مُقمِرة

إن كُنتِ جُرحاً نازفاً

فأنت أيضاً فرحة المدنية المحررة

راجعةٌ من رحلةِ المرآةِ والفقاعةِ المسوّرَة

عائدةٌ من مُدنِ البراقع

إلى حقيقة الدَّمِ القاني السّكُوبِ

وإلى صراحة المدافع

ثابتةً.. أُغنيةً.. وبُرعُماً على فم العروبةِ المنتصرة(*)

❖❖❖

* شاعر وقصيدة (مختارات شعرية)، العماد مصطفى طلاس، دار طلاس، دمشق 1985.

الرحيل

سنرحلُ لاح صباح عميقٌ وراءَ السَّوادْ
ولم يَبْقَ إلاَّ ضَبابٌ خفيفٌ يلُفُّ الوهادْ
ويحلُمُ مكتئباً في عيونٍ طواها السُّهَادْ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرِّحْلةِ القادمة
إلى أُفْقٍ كوكبيٍّ السُّتُورْ
يَمُدُّ جذورْ
وراءَ مسالِكنا القاتمة



سترحَلُ فالأنجُمُ الوامقاتُ تشيرُ لنا
أصابعُها اللدنةُ المُخْمليّةُ في دربنا
تُطرِّزُ كلَّ غدٍ قادمٍ بخيوط المنى
تقودُ خُطانا خلالَ الشِّعابِ الطِّوال المُمِضّة
سنرحَلُ بعد زمانٍ قصير
وعَصْرٍ صغيرْ
فلم يَبْقَ من ليلنا غيرُ ومضة

❖❖❖

ومن سنواتِ الإسارِ الممزِّقِ، من ألفِ ظُلْمة
تلُفُّ مدًى أسوداً لا تَمَسُّ دياجيهِ نجمة
ستُبْدلُنا حافةُ الكاسِ قطرَةَ حُبٍّ وبَسْمة
وتحملُنا عَرَباتُ الكواكبِ عبرَ الحُزونْ
وراءَ بحار الندى والظِّلالْ
وحيثُ الجمالْ

يُمَسُّ ويشربُهُ المتعَبون

❖❖❖

وداعاً صَحَارَى العويل فقد حانَ فجرُ السنينْ

وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلينْ

عَطِشْنَا طويلاً، وكانتْ كؤوسُكَ مَلأى أنينْ

ينوحُ الفَراغُ عليها وموكبُنا الباحثُ

تجرَّع حتى كؤوسَ الدموعْ

ونارَ الضلوعْ

وجُنَّ به شوقُهُ اللاهثُ

❖❖❖

وفي الغد، من بَعْدِنا، إن أطلَّ جبينُ القَمَرْ

ولامسَ ضوءُ النجومِ النشاوَى حريرَ النَّهَرْ

ورنَّ مع الليلِ صوتٌ بعيدُ الصَّدَى واندَثَرْ

كما رنَّ، يسألُ عنّا وأينَ رمتْنا البحورْ

فقولي له إنّنا لن نعودْ

لأرضِ القيودْ

فقد أشرق الفجرُ منذ عصورْ

1950/8/5

❖❖❖

الخيْبَة

عُدْنا إلى الأرضِ، وكانَ الطريقْ
طريقَنا الأوّلا
والجُهْدُ لم يُبْقِ لنا بريقْ
خلّفَهُ الأمسُ النضيرُ الوريقْ
عبرَ الرؤى مُشْعلا

❖❖❖

عُدْنا وألفينا الرُّبَا والحُقولْ
كما تركناها
الشمسُ ما زالتْ تُغذّي السُّهولْ
يتبعُها الليلُ البطيءُ الكسولْ
يمحو بقاياها

❖❖❖

والناسُ ما زالوا هنا يزرعونْ
ويَحْصِدونَ الهُمومْ
الشمسُ تدري أنّهم يَغْمِسُونْ
ذُنوبَهُمْ في ظُلُمات القرونْ
ويرمُقُونَ النجومْ

❖❖❖

ونحنُ ما زلنا كما كنّا
أولئكَ الحَمْقَى
الليلُ يمضي ساخراً منّا
والفجرُ يَرْوي للدُّجَى أنّا

نشرَبُ ما نُسْقى

❖❖❖

وأمسِ في القافلةِ الراحلة

سرنا مع السائرين

نقطعُ آلافَ الرُّبى الماحلة

وعندما أرستْ بنا القافلة

بعد انصرام السنينْ

❖❖❖

جُنّتْ بنا خيبتُنا وانطوَى

ما كان مأمولا

وهدّنا عبءُ الأسى والجَوى

فهذه خلف الرُّبا والهوى

بقعتنا الأولى

1952/1/5

❖❖❖

مشغولٌ فـي آذار

ينامُ الوردُ أو يصحو

ويبسِمُ فـي المدى ليلٌ ندٍ أو ينتشي صُبْحُ

سواءٌ ذاكَ أو هذا، حبيبي، أنت مشغول

سُدىً منيَ أوتارٌ تصلّي وتراتيلي

على مكتبكِ البارِدِ تنكبّ الأحلام

وتسرقُ روحَكَ الأرقام

وعند رتاجك المسدود ترتدُّ المواويل

وقد أضحك، قد أبكي، وأسهرُ فـي الدُّجى وأنام

سواءٌ أنتٌ مشغولُ

بأوراقك، والحبُّ على المكتب مقتولُ،

ألا فلتسْقطِ الأوراقُ والأقلام

❖ ❖ ❖

وآذارُ النَّدِيْ وأنا... وراءَ البابْ

نرُشُّ جبينَك الجدِّي، بالأطياب

تُرقرقُ فـي دواة الحبر بعضَ تحرق الموجِ

وتُنْجي خشَب المكتب من بردٍ ومن ثلج

ونُهْديكَ الندى والعطرَ كأسَ شرابْ

حبيبي فافتح الأبوابْ

أنا والقمر المشتاقُ جئنا، نطرق الشُّبّاك

عبرنا الصخرَ والأشواكْ

ووديانـاً من الآهات والأوصابْ

أتينا هاهُنا لنراك

حبيبي فافتح الشُّبَّاك

❖ ❖ ❖

ويمضي الوقتُ والأبواب ترفُضُنا

حبيبي المرْهق المشغول افتحها فنحنُ هنا

أنا والشمسُ نحملُ سُمْرَة النهرِ

وأكواباً من العِطرِ

وحُزْمَةَ أنجمٍ وسَنَا

حبيبي فافتح الأبوابَ ، نحن هنا

جميعاً:

أنتَ، آذارٌ ، وفرحةُ حبّنا ، وأنا

❖❖❖

خصام

زمان الصفاء مضى وتلاشى مع الذكريات
وها نحن مختصمانْ
وجاء زمانُ الصراعِ فلا لُطْفَ ولا بسمات
ولا دفقةٌ من حنانْ

❖ ❖ ❖

وها نحنُ مختصمانِ دفنّا الوئام
وراء التوتر في قعر ألفاظنا الباردة
ولم نُبقِ كأساً ولا منهلاً للغرام
ولم نُبْقِ عُشاً لأحلامنا الساهدة

❖ ❖ ❖

ها نحنُ نكشِفُ عمّا انطوى
بأعماق أنفسنا من عيونٍ جميلة
ويُدْرِك كلّ بأنَّ الهوى
طوى ما طوى من معايبنا المترفات الأصيلة
ولم يُبْقِ إلاَّ محاسنَنَا الفجّةَ المستحيلة

❖ ❖ ❖

وها نحنُ نعرِفُ أبعادنا الشاسعة
وما امتدَّ في عُمْقِها من خشونة
وكيف ملكنا عيوباً منوّعةً رائعة
تُخبّئ أوجُهَها خلف ستر الرِّضا والليونَة
وخلف الوداعة خلْف السكينة



وفي لحظات الصفاء لمسنا شذانا الرصينة

وذقنا محاسنَنا السمحةَ المنعمة

وذاك الطلاءَ الذي لفَّ أعماقَنا المبهمة

وغطَّى الحماقة والضعف فينا

وفي لحظاتِ الحنينِ هوينا

بَساطَتَنا وعشقِنا العذوبة

❖❖❖

وها نحن نعشقُ ما تَخلُقُ الآدميّةُ فينا

ونلمُسُ أعماقَنا الشاسعات الرهيبة

وما في حماقتنا من جمالٍ شذٍ وخُصوبة

❖ ❖ ❖

وكنّا عَشِقْنا انبثاق الحرارة في مُقلتيا

فدعنا نحبّ النضوبَ

وكنّا هَوينا التَورّدَ والشِّعرَ في شفتيا

فلِمَ لا يُحبُّ الشحوبْ

ولِمَ لا نخلّف ركناً من المقت بين يدينا؟

❖ ❖ ❖

وكنا عَقَدنا الصداقةَ بين المحاسن فينا

فدعنا نُقِم أُسسَ الحبِّ والودِّ بين العيوب

وافسح مكاناً لبعض الحماقاتِ بعضَ الذنوبْ

ودعنا نكُنْ بشراً طافحين نفيضُ جنونا

وننضح ضِحكاً ودمعاً سخينا

❖❖❖

أسطورة عينين

عينانِ طِلَّسْمٌ ولُغْزٌ أصم
يَحَارُ في تفسيرهِ التائهون
غيبانِ من عهْدٍ سحيقِ القِدَمْ
وضَفّتا شطٍّ طوتْهُ القُرونْ



عينانِ لونٌ نابضٌ ساخنُ
شيءٌ من الشرقِ لذيذُ الفُتورْ
وفيهما العرَّافُ والكاهنُ
ومعبَدٌ مخدّرٌ بالبَخُورْ



عينانِ أمْ مزارعٌ في الظلالْ
تُرَقرقُ العبير في الأودية؟
وهُدْبها أم رعشةُ البرتقالْ؟
أم نجمةٌ تخفِقُ؟ أم أغنية؟



عينانِ أمْ عوالمٌ شاسعة؟
وبؤبؤٌ أم دعوةٌ للرَّحيلْ؟
بابٌ إلى يوتوبيا الضائعة
ومَعْبرٌ يُنْهي إلى المستحيلْ



وفي مَطاوِيها وِسَادُ الحُلُمْ
ومن حواشيها ارتواءُ الوَتَرْ

عينانِ ما كاد يعيها النغَمْ

حتى دعا أشواقَهُ وانفجَرْ

❖❖❖

وذلك العمْقُ الذي لا يُحَدْ

يحمل للرَّائينَ سرَّ الظمأ

أحسُّ فيه لا انتهاءَ الأَبَدْ

وموكبَ التأريخ منذُ ابتدأ

❖❖❖

يَرْوونَ عنْها أنَّ أغوارَها

ذوبُ نجومٍ أطفأتْها السنينْ

وأنَّ من أدركَ أسرارها

فكَّ الرّدَى عنْه الإسارَ المُهينْ

وأنَّها، كما رَوَى آخَرونْ،

بقيّةٌ من أَعْيُنٍ آفلة:

عينا (مدُوزا) أفرغَ السّاحرونْ

ما فيهما من قوّةٍ قاتلة

❖❖❖

ستلبُثُ العينانِ سرّاً عميقْ

ويذرعُ الراوونَ أرضَ الخيالْ

أسطورةٌ تظَلُّ سكرَى البريقْ

ما بَقِيَ الشِّعْرُ وعاشَ الجَمالْ



الوصُول

سأحبُّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيي عُصُورْ
ملأى بألوانِ الخيالْ
وهناك في أحنائِها ألقى الجَمَالْ
وعوالماً نجميّةَ الإشراقِ مُسْكرة العطورْ
وهناك كم لونٍ ترسّب في كؤوس الذكرياتْ
كم قصّةٍ نامتْ وغطّتْ سرَّها خلفَ الشُّعُورْ
كم خطفةٍ من طيفِ حُبٍّ عاشَ حيناً ثم ماتْ
كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ، عندما كان المساءْ
متثاقلاً نعسانَ، في بعض القُرَى
وأنا أغنّيها وأرقُبُ في ارتخاءْ
ظلَّ النخيلِ على الثَّرَى.

❖❖❖

سأحبُّ نفسي، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاءْ
طالَ التغرُّبُ والتلالُ تلوّنتْ بدمِ الغروبْ
حتّى النهارُ أوى إلى سُرُرِ المساءْ
لم يَبْقَ جوَّالٌ سوايَ أنا وقلبي في السهوب
لم يَبْقَ إلانا وآهاتُ المداخنِ من بعيدْ
وكآبةُ الليلِ الجديدْ

❖❖❖

ولقد وصلنا ، ها هنا يحيَا الجمَالْ،
والدفءُ، والشمسُ الأنيقةُ، والسكونْ،
والامتدادُ وعالمٌ يَسَعُ القُرُونْ

بحرٌ من الألوانِ يخلقُهُ الخيالْ

وتموجُ فوق مداهُ آلافُ الظِّلالْ

❖❖❖

يا صمتَ نفسي عدْتُ عدْتُ إليكَ بعد سُرَى سنينْ

ضاقت بتَطْوافي البحارْ

وشكا النّهارْ

ما حمّلتْه رؤايَ من عبءِ الحنينْ

لم ألقَ غيرَكَ لي نصيرا

في ظلمة الليلِ المُضِلِّ

فافتح ليَ البابَ الأخيرا

دعني أمُرُّ

... أنا وظلي...

1951/3/6
الولايات المتحدة الأمريكية

❖❖❖

لنكن أصدقاء

لنكنْ أصدقاءْ
في متاهات هذا الوجودِ الكئيبْ
حيث يمشي الدمار ويحيا الفناءْ
في زوايا الليالي البِطاء
حيثُ صوتُ الضَّحايا الرهيبْ
هازئاً بالرجاءْ

❖❖❖

لنكن أصدقاء
فعيونُ القضاءْ
جامدات الحدَقْ
ترمُقُ البشرَ المتعبينْ
في دروب الأسى والأنينْ
تحتَ سوطِ الزمانِ النزِقْ

❖❖❖

لنكن أصدقاء
الأكفُّ التي عَرَفتْ كيف تَجبي الدماءْ
وتحزُّ رقاب الطيّبين والأبرياءْ
ستُحسُّ اختلاجَ الشعورْ
كلما لامستْ إصبعاً أو يدا
والعيونُ التي طالما حدّقتْ في غرور
ترمُقُ الموكب الأسودا
موكبَ الرازحينَ العبيد

هذه الأعينُ الفارغات

ستُحِسُّ الحياة

ويعودُ الجمودُ البليد

خلفها ألفَ عِرْقٍ جديدْ

والقلوبُ التي سَمِعَتْ في انتعاش

صرخاتِ الجياعِ العطاش

ستذوبُ بكاءً على الجائعين

ستذوبُ لتسقي صدى الظامئين

كأسها ولتكنْ ملئتْ بالأنين

❖❖❖

لنكن أصدقاء

نحنُ والحائرون

نحنُ والعزّل المتعبونْ

والذين يُقال لهم «مجرمون»

نحنُ والأشقياء

نحنُ والثملونَ بخمرِ الرخاء

والذين ينامون في القفر تحت السماء

نحنُ والتائهون بلا مأوى

نحنُ والصارخون بلا جدوى

نحنُ والأسرى

نحنُ والأمم الأخرى

في بحار الثلوجْ

في بلاد الزنوجْ

في الصحارى وفي كل أرضٍ تضم البشر

كلِّ أرض أصاخت لآلامنا

كلِّ أرض تلقتْ توابيت أحلامنا

ووعت صرخات الضَّجَرْ

من ضحايا القدرْ

❖❖❖

لنكن أصدقاء

إن صوتاً وراءَ الدماءْ

في عروق الذين تساقوا كؤوس العدَاءْ

في عروق الذين يظلّون كالثملين

يطعنون الإخاء

يطعنونَ أعزَّاءهم باسمين

في عروق المحبينَ.. والهاربين

من أحبّائهم، من نداء الحنين

في جميع العروق

إنَّ صوتاً وراءَ جميع العُروق

هامساً في قرارة كلِّ فؤادٍ خفوق

يجمعُ الإخوةَ النافرين

ويشُدُّ قلوبَ الشقيّين والضاحكين

ذلك الصوتُ، صوتُ الإخاء

فلنكن أصدقاء

❖❖❖

في بعيد الديار

ووراءَ البحارْ

في الصحارى، وفي القُطْبِ ، في المُدنِ الآمنة

في القُرى الساكنة

أصدقاءٌ بَشَرْ

أصدقاءٌ ينادون: أين المفرْ؟

ويصيحون في نبرةٍ ذابلة

ويموتون في وَحْدةٍ قاتلة

أصدقاءٌ، جياعٌ، حُفاةٌ، عراة

لفظتهم شفاه الحياهْ

إنهم أشقياءْ

فلنكن أصدقاء

❖❖❖

من بعيد

صوت عصف الرياح الشديد

ناقلاً ألفَ صوتٍ مديدْ

من صُراخ الضحايا وراءَ الحدود

في بقاع الوجود

الضحايا، ضحايا، العراك

وضحايا القيود

وصدَى «هَيَا واثا» هناك

مثقلاً بأنين الجياعْ

بأسى المصطلين لظى الحُمَّى

بالذين يموتون دونَ وَداعْ

دون أن يعرفوا أُماً

دونما آباءْ

دونما أصدقاءْ

ثلج ونار

تسألُ ماذا أقصدُ؟!.. لا ، دعني لا تسأل

لا تَطْرقْ بوّابةَ هذا الرُّكْنِ المقفَلْ

اتركني يحجُبُ أسراري سِتْرٌ مُسْدَلْ

إنَّ وراءَ الأستار وروداً قد تذْبُلْ

❖ ❖ ❖

إن أنا كاشفتُكَ، إن عرّيتُ رؤى حبّي

وزوايا حافِلة باللهفة في قلبي

فستغضَبُ مني، سوف تثور على ذنبي

وسيَنْبُتُ تأنيبُكَ أشواكًا في دربي

❖ ❖ ❖

وإذا ما رُحْتَ تؤنّبُني، هل أنسحبُ؟

هل يقبَلُ ثلجَ عتابِكَ قلبي الملتهب؟

أترى أتقبّلُ، لا أغضبُ؟ لا أضطرب؟

لا! بل سأثور عليكَ... سيأكُلُني الغَضَبُ

❖ ❖ ❖

وإذا أنا ثرتُ عليك وعكّرتُ الأجواءْ

بمرارة لفظٍ جافٍ أو حرفٍ مسْتاء

فستغضب أنتَ وتنهضُ في صمتٍ وجَفَاءْ

وستذهبُ يا آدمُ لا تسألُ عن حوَّاءْ

❖ ❖ ❖

وإذا ما أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشوْقا

عصفوراً عطشاناً لا يحلُمُ أن يُسْقى

وليالي لا تعرفُ لا فجْراً لا شرْقا

وإذا ما أنتَ ذهبتَ... فماذا يتبقّى؟

❖ ❖ ❖

يا آدمُ لا تسأل... حوّاؤُكَ مطويّة

في زاويةٍ من قلبكِ حيرى منسيّة

ذلك ما شاءته أقدارٌ مقضيّة

آدم مثل الثلج، وحوّاء نارية

❖❖❖

ماذا يقول النهر؟

«إلى الصديقة التي سألتني ذات مساءْ:

ماذا يقول النهرْ؟!..»

ماذا يقولُ النهرُ؟

أقصوصةٌ

يَنْسِجُها من رَقْصِ ضوءِ القمرْ

يَنْسُجُها من غَزَلٍ ناعم

يُداعِبُ النخلُ به المنحدَرْ

من نور مصباح يُغذّي الدجى

حرارةً ويستثير الشجر

من وقْع مجدافٍ خفيفِ الخُطا

يشُقّ في الظلمة صَدْرَ النهر

❖ ❖ ❖

ماذا يقولُ النهرُ؟

أغنيةٌ

قديمةٌ ، بنت ليالٍ طوالْ

غنى أساها مرّةً عاشقٌ

والليل سكرانُ بكأس الجمالْ

مُثقلةٌ بالدفء، ما زال في

ألحانها بعض حنينِ الجِمالْ

وخشعةِ الهوج تحت الدُّجى

ووقعِ أقدام الحُداةِ الثقالْ

❖ ❖ ❖

ماذا يقولُ النهرُ؟

تسبيحةٌ

من بابلِ النشوى بعطر البَخورْ

وموكبُ الكُهّانِ في معبدٍ

دجلة يطوي سرّه والصخور

وذكرياتُ الليلِ والشمس عن

(مدينة الشمس) وراء العُصورْ

وعن (حَمُورابي) وعن حُبّه

وما طوى.. سِفْرُ الزمان الغدور



ماذا يقولُ النهرُ؟

لا تسألي

دعي غلاف السرّ كثّاً عميقْ

لو كشفَ الزّنبقُ ألغازَهُ

لم يَبْقَ معنىً لشذاهُ الرقيق

❖❖❖

صائدة الماضي

انتظرني، غداً سيقذف بي المو ج إلى شطّك الغريب البعيدِ
ثم تمشي بيَ السنينُ إلى با بك بعد البحث الطويل المديد
وتراني خلفَ الزجاج أجُرّ الـ أمسِ في لهفة المشُوق العنيد
أتحدى الصخور في الشاطئ العا ري وألوي شموخها بنشيدي

❖❖❖

انتظرني، وإن تمزّق في صَدْ رك ما كانَ ذاتَ يومٍ رجاءَ
أو سمعتَ الرياحَ تصرخ عاد الـ حبّ ذكرى ورغبةً عمياءَ
أو رأيتَ النجومَ تُنكر في أهـ دابكَ الشوقَ والصّدى والنداءَ
أو أبت مقلتاكَ أن ترسُما حُلْـ ماً جديداً وثارتا كبرياءَ

❖❖❖

وإذا وسوستْ بصدرك أشلا ء الأماني وزمجرت في جنونِ
ومَضَتْ توقظُ الشكوكَ وتغري بلياليكَ عاصفاتِ الظنونِ
وتخيّلت أنني بعت ذكرا ك وأمعنتُ في الجمودِ المُهينِ
فانتظرْني، لابدَّ أن نلتقي يو ماً وألوي بشكّكَ المجنونِ

❖❖❖

سأصيدُ الأحلامَ من أمسنا الها ربِ حُلْمَاً حُلْمَاً، وراء الزمانِ
وألُمُّ ا لأفراحَ من كل ركن ضائعٍ في مقابر الأحزانِ
ألقُط الذكرياتِ دون كلالٍ من غبار السكون والنسيانِ
وأناشيدُنا ألمُّ صَداها وأعيد الحياةَ للأوزانِ

❖❖❖

ثـم أمضـي يُـنير لـي وجهُـكَ التـأ ... ريـــخَ بحثـــاً عـــن حبّنــا المغـــدور

ذلــك الأمــسُ ، لــو عثــرت عليــه ... فـــي زوايــا التــاريخ بــين العصــورِ

لأبـــثَّ انتفاضـــةَ الحــــيِّ فيـــه ... وارتعــاشَ الصــدى ونــبْضَ الشــعورِ

ثــم نمشــي معــاً إليــكَ، إلى شِطـــ ... ـــــكَ فــوق الأمــواجِ بــين الصــخور

❖❖❖

وتَرَانــا فُجــاءَةً نصــعد السُّلْـــ ... ـــلَمَ فـــي لهفــةٍ وشــوق كلانــا

أنــا والأمــسُ كلّــه، نطــرق البــا ... بَ غــــريبينِ لامســــا الأوطانــــا

وتُحـــسُّ النجـــومَ أنّـــا رَجَعْنــا ... نعصــر الــدهرَ لحظــةً مــن هوانــا

ويقــول الزمــان: عــادا إلى الحــبّ ... وعـــاد الفـــراق وهْمـــاً كانـــا



أغنية لشمس الشتاء

أشيعي الحرارةَ والرفْقَ في لمساتِ الرياحْ
ولفي جدائلكِ الشُّقْرَ حولَ الفجاج الفساحْ
وهذا التحرُّقُ في شفتيكِ أريقي لظاهْ
على طبقات الثلوجِ الكثيفةِ فوق المياهْ
أذيبي بها قطراتِ الجليدْ
عن العُشْبِ، عن زهرة لا تريدْ
فراق الحياة
فما زال فيها رحيقٌ تخبئهُ للصباح

❖❖❖

ومن دفء عينيك من ضوء هذا الجبين السعيدْ
أريقي عصيرَ البنفسج فوقَ الفضاءِ المديدْ
ومن لونِ هذي الجدائلِ رُشي ازرقاقَ الأثير
وصُبّي البريق الملوّنَ فوق مرايا الغديرْ
ومن عطرِ هذا الضياءِ المذابْ
أريقي على صَفحات الضباب
ربيعاً نضير
يحيلُ البرودةَ فيه إلى دفءِ حبٍّ جديدْ

❖❖❖

أصابعُكِ الدافئاتُ المرورِ اضْغَطي شِعْرَها
وأحلامَها فوق زهرةِ فُلٍّ طوت سرَّها
ونامتْ مُلفّعة بجليدِ المساء القريبْ
تذوب اشتياقاً لضوئكِ، للحبِّ للعندليب

أطلّي بوجهكِ في سجنها

فقد جَمَدَ الشِّعرُ في لونها

وعاد شُحوبْ

تسائِلُهُ هَمَسَاتُ العصافير عن سحرها

❖❖❖

وروحي الذي رَسَبَتْ في مُناهُ ثلوجُ الملالْ

ولاذ بزاويةٍ جَهمْةٍ من زوايا الخيال

دعيهِ يُعانقْك سكرانَ، من وهج هذا البريقْ

ويشربُ يشربُ هذا الضياءَ ولا يستفيقْ

يفيضُ عليهِ سناك الحنونْ

ويُرْسِلُهُ شُعْلَةً من جنونْ

ولحناً رقيق

نذرتُ مقاطعَهُ لعذوبة هذا الجمال

❖❖❖

دعيني! هنا لا أحسُّ سوى روحك الشاردة

تُقَبِّلُ شَعْرِي، وتُدفئ أحلاميَ الباردة

هنا أنتِ، بنت حقول الجنوب وألوانها

قَبَسْتِ العذوبةَ والدفءَ من سحر غُدْرانها

وهذا الصفاءُ صفاءُ الحياة

هناك، وهمسُكِ شدو الرعاة

لقُطْعانها

دعيني! فأنتِ الإلهُ هنا وأنا العابدة

❖❖❖

ومن أجل عينيكِ هاتينِ حيث يعيش الأبدْ

أعيشُ أؤرِّخُ كالآخرينَ بأمسٍ وغدْ
وكالآخرين أعيش أجُرُّ قيودَ المكانْ
وأحملُ فوقَ جبينيَ عبءَ الدجى والدُّخان
لعينيكِ أرشفُ كأس الغيوم
وأطوي الزمانْ
مكبَّلةً بالأسى الآدميِّ وقيدِ الجَسَدْ

❖❖❖

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيد المروجْ
وجفَّ رحيقُ الشذى تحتَ برد الشتاء اللجُوج
ولولاك ما كانَ أخشنَ مسَّ الفضاء الرهيب!
وهذي النعومةُ، هذا الضياءُ الرفيقُ الغريب
ألولاهُ كان يعيشُ الخيالْ؟
ومن ذا يوسِّدُ خدَّ الجمالْ؟
ومن ذا يُذيبْ
بريقَ الحرارةِ في سَرْوةٍ جمّدتْها الثلوج؟

❖❖❖

ولولاكِ أينَ إذن يستحمُّ جبينُ السلام؟
وهذي المشاعرُ أينَ تصُبُّ؟ وأين تنامْ؟
وبعضُ العيون التي جمعتْ ألفَ حلْمٍ مُحَالْ
وقد نَضِجَت خلف أهدابها نَغَماتُ الجمال
دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ
فلولاكِ سَدَّتْ عليها الحياة
رحابَ الخيالْ
ولولاكِ ما وجدَتْ سامعاً غيرَ بَرْدِ الظلام

خلاصة عامة

في نهاية المطاف.. وبعد هذه الرحلة الشائقة ذات الإيقاعات المدروسة في رحاب الشعر العربي، الذي هو عنوان من عناوين هوية أمتنا العريقة، فإننا نؤكد دون أن يساورنا الشكّ أو الظنون، بأن القيمة الحقيقية لشعر نازك الملائكة ، في مراحله الثلاث التي أشرنا إليها سابقاً، يكمن في تجربتها الإنسانية الواعية المعمقة وفي ثقافتها العامة، التي وصلت إليها بعد معاناة طويلة وعذابات مضنية، وتأملات ذاتية أنثوية ذات صبغة إشراقية خالصة، ما جعلها تزيح ذكريات ضباب الماضي وأوجاعه، وابتعدت طوعياً مع نضج شعرها أن تكون هي محور شعرها، المتدفق بالسمو الوجداني الأخلاقي في أروع صوره ومعانيه ومبانيه.

بل وانكشف أمام بصيرتها الثاقبة عوالم جديدة زاهية لم تكن تعرفها من قبل، نتيجة رهافة أحاسيسها الرحيمة الصادقة، وحبها الذي ليس له حدود للإنسانية.

وفي الوقت نفسه قدّمت خدمة جليلة للشعراء، وللمتأدبين الجدد، وغيرهم.. من خلال كتابها الهام «**قضايا الشعر المعاصر**»، حيث جعلت من مقاييسها الذوقية والجمالية المترفة، خارطة طريق للشعر الحرّ في بدايات ظهوره بصورة خجلى في حياتنا الثقافية، لاسيما وأنها تؤمن بأن بحور (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، لم تكتف بالإساءة، غير المقصودة، إلى شعرنا، بل أساءت إلى (ديوان العرب) بشكل عام، فبتقديم الوزن على الشعر قد جعل الشعر في نظر الجمهور صناعة معقدة تواكب معادلات الجبر... وهنا نؤكد «أن النقد قوامه الذوق وحده وأن أقدر الناس عليه هم الشعراء والأدباء».

وكما أشرنا في بداية هذا الكتاب، إلى أن الشاعرة كانت رومانسية حالمة في بواكير أعمالها الشعرية، تسير، بصورة ما، على نهج عميد الأدب المهجري

جبران خليل جبران، ثم لوّنت شعرها الرقيق باللون السريالي، دون غرائبية أو تخبط لغوي، ثم جاء بسلاسة اللون الرمزي الوجودي الهامس، الذي يعانق المطلق، ويخاطب الإنسان في كل الأجيال، شأنها شأن (المتنبي) الجدّ الأكبر للشعراء، في العديد من قصائده الشهيرة... التي ما تزال ترددها الألسنة. وبذلك نجحت نازك الملائكة بتجديدِ علاقة القارئ، مهما كان مستواه الثقافي، بالشعر العربي الأصيل، فضلاً عن تجديد علاقته بلغته العربية الجميلة، في هذا الزمن الاستهلاكي الصعب، ولا غرابة في ذلك فالشعر الصافي هو لغة النفس وغذاء الروح في صحراء الحياة.

وفي هذا المقام نستعيد ما قاله الناقد الكبير مارون عبود عن نازك الملائكة، نظراً لأهميته وطرافته معاً:

«... ولو يصحّ لي أن أتمثل بالنابغة الذبياني لقلت لنازك الملائكة: فأنتِ أشعر من كل ذات ثديين، ولولا ذاك البصير عمر أبو ريشة، لفضلتك على شعراء الموسم، وليغضب عليَّ من يغضب فلا يخلق النقد الموضوعي غير الأعداء...

نازك الملائكة من بيت... من أسرة.. يذكّر بقول الشاعر الأخطل: أشعر الناس بيتاً بيت زهير بن أبي سلمى، فأم نازك شاعرة، وقد قرأت لها قصيدة في مجلة (المعهد) حققت لي الكلمة المأثورة: البنت لأمها، وأبوها شاعر أيضاً، ولعلّ أخاها نظار، وأختها إحسان التي قدّمت لديوانها شاعران».



مصادر ومراجع الكتاب

1 – الأعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة، دار العودة ، بيروت 1979.

2 – قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ،بيروت 1962.

3 – لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، نازك الملائكة ، (مطبوعة على الآلة الكاتبة)، بغداد.

4 – الشعر العراقي الحديث، د. جلال الخياط، دار صادر، بيروت 1970.

5 – اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978.

6 – صفحات من حياة نازك الملائكة (حكايات مع الأدباء)، حياة شرارة، دار الريس، بيروت 1994.

7 – أعلام الأدب والفن، ج2، أدهم آل جندي، (إصدار خاص)، دمشق 1958.

8 – شاعرات عراقيات معاصرات، سلمان هادي آل طعمة، ط2، (مزيدة ومنقحة)، دمشق 1995.

9 – إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، د. نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، 1990.

10 – الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش، د. ميشال خليل جحا، دار العودة ودار الثقافة، بيروت 1994.

11 – شاعر وقصيدة (مختارات شعرية)، المجلد الثاني، العماد مصطفى طلاس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق، ط2، 1985.

12 – من أعلام الفكر العربي والعالمي في القرن العشرين، سليمان سعد الدين، مراجعة وتقديم: هاني الخيِّر (إصدار خاص) دمشق 1991.

13 – هؤلاء يقولون في السياسة والأدب، عبد العال الحمامصي (كتاب

الهلال)، القاهرة، العدد (203)، آذار «مارس» 1976.

14 – مجـدّدون ومجـترون، مـارون عبـود، دار مـارون عبـود، ودار الثقافـة، بيروت، ط5، 1979.

15 – الغربال، ميخائيل نعيمة، دار المعارف، القاهرة، 1957.

16 – الأرشيف الشخصي والمفكرات الثقافية لهاني الخيِّر.

17 – جمال العربية ، فاروق شوشة، كتاب العربي، الكويت العدد (52) 15 نيسان (أبريل) 2003.

18 – قـوافي الحـبّ والشـجن، تقـديم: الـدكتور عبـد القـادر القـط، كتـاب العربي، الكويت (42) ، 15 تشرين الأول «أكتوبر» 2000م.

19 – فـي الميـزان الجديـد، د. محمـد منـدور، مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمـة والنشر القاهرة، ط1، 1944.

20 – الآداب العدد (1)، السنة الأولى ، كانون الثاني، 1953.

21 – الآداب العدد (2)، السنة الأولى ، شباط، 1953.

22 – الآداب (عدد خاص بالشعر العربي الحديث)، العـدد (3)، السـنة الرابعـة عشرة 1966.

23 – مجلة العربي العدد (585) ، آب «أغسطس» 2007م.

24 – مجلة أدب ونقد القاهرية العدد (264) آب «أغسطس» 2007م.

25 – مجلة الزهور (ملحق الهلال) العدد (10) تشرين الأول «أكتوبر» 1973.

26 – مجلـة المجتمـع الاقتصـادي العـدد (19) آب 2007، دمشـق، مقـال بقلـم هاني الخيِّر.



الفهرس